الأدب الكبير

آداب السلطان والصداقة وحسن المعاملة

عبد الله بن المقفع

مِداد — طبعة رقمية

الإصدار 1 · ar

النص تراثي من المصدر المشار إليه؛ أعيد تنسيقه آليًا ولم يُنشأ المتن بنموذج ذكاء اصطناعي.

الأصل ملك عام؛ التفريغ من ويكي مصدر مع النسبة والترخيص بالمثل CC BY-SA 4.0

مصدر التفريغ: ويكي مصدر ومساهموه · CC BY-SA 4.0

مصدر النص · الترخيص

عن هذا الكتاب

كتاب في آداب السلطان وصحبته ومعاملة الأصدقاء؛ عبارات موجزة وتأملات في السلوك والعلاقات. يتيح النص بابًا إلى أدب الحكمة والنصيحة في العربية القديمة.

فهرس فصول الكتاب

مقدمةآداب
السلطانبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُصحبة
السلطانبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُ
في معاملة
الأصدقاءبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَـابُبَابُبَابُبَابُ
بَابُبَا
بُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُبَابُ

مقدمة

قال عبد الله بن المقفع:

إنَّا وَجَدْنا الناسَ قَبلَنا كانوا أعظمَ أجسامًا، وأوفرَ مع أجسامهم أحلامًا ، وأشدَّ قوةً، وأحسنَ بقوَّتهم للأُمور إِتقانًا؛ وأطوَلَ أعمارًا، وأفضلَ بأعْمارهم للأشياء اختيارًا . فكان صاحبُ الدِّين منهم أبلغَ في أمر الدِّين علمًا وعملًا من صاحب

الدِّين منَّا، وكان صاحب الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل.

ووَجَدْناهم لم يرضَوْا بما فازُوا به من الفضْل الذي قُسِم لهم لأنفسهم حتى أشركونا معهم فيما أدركوا من علم الأولى والآخرة، فكتبوا به الكُتب الباقية، وضربوا الأمثال الشافية، وكفَوْنَا به مؤونة التجارب والفِطَن.

وبَلَغَ من اهتمامهم بذلك أنَّ الرجل منهم كان يُفتَحُ له البابُ من العلم، أو الكلمةُ من الصواب — وهو في البلد غير المأهول — فيكتُبُه على الصخور مبادرةً للأَجَل، وكراهِيةً منه أنْ يَسْقُط ذلك عمَّن بعدَه.

فكان صَنِيعهم في ذلك صنيعَ الوالد الشفيق على وَلدِه، الرحيم البَرِّ بهم، الَّذِي يجمع لهم الأموال والعُقَد : إِرادةَ أن لا تكون عليهم مؤُونةٌ في الطلبِ، وخَشْيَةَ عَجْزهِم، إنْ هم طلبوا.

فمُنتهى عِلْمِ عالِمنا في هذا الزمان أنْ يأخذ من عِلمهم، وغاية إحسانِ مُحسننا أنْ يقتديَ بسِيرتهم، وأحسنُ ما يُصيبُ من الحديثِ مُحَدِّثنا أنْ ينظر في كتبهم. فيكون كأنهُ إياهم يُحاوِرُ، ومنهم يستمع، وآثارَهم يتَّبع، وعلى أفعالهم يحتذي، وبهم يقتدي. غير أنَّ الذي نجِدُ في كُتُبِهم هو المنتخَلُ من آرائهم، والمُنتقى من أحاديثهم.

ولم نجدْهم غادروا شيئًا يجدُ واصفٌ بليغ في صفةٍ لهُ غايةً لم يسبقوه إليها: لا في تعظيم لله (عزَّ وجلَّ) وترغيبٍ فيما عنده؛ ولا في تصغيرٍ للدنيا وتزهيدٍ فيها؛ ولا في تحرير صنوف العلم وتقسيم قِسَمِها وتجزئة أجزائها وتوضيح سُبُلِها وتبيين مآخذها؛ ولا في وجهٍ من وجهِ الأدب وضُروب الأخلاق.

فلم يَبقَ في جليل الأمر ولا صغيره لقائل بعدهم مقال.

وقد بَقِيَتْ أشياءُ من لطائف الأُمور فيها مواضعُ لغوامض

الفِطَن،

مُشتقَّةٌ

من جسامِ حِكَمِ الأوَّلين وقَوْلِهم. فمن ذلك بعضُ ما أنا كاتبٌ في كتابي هذا من أبواب الأدب التي قد يَحتاجُ إليها الناسُ.

⁂

يا طالب العلم والأدب!

إنْ كنتَ نوعَ العلْم تريدُ، فاعرف الأصول والفصول. فإنَّ كثيرًا من الناس يطلُبُون الفُصُول مع إضاعة الأُصول. فلا يكون دَرَكهم دَرَكًا. ومَن أحرز الأُصول، اكتفى بها عن الفصول. وإنْ أصاب الفصل بعد إحراز الأصل فهو أفضل.

فأصلُ الأمر في الدين أنْ تعتقِدَ الإيمانَ على الصواب، وتجتنب الكبائر وتؤدِّي الفريضة. فالزم ذلك لزوم مَن لا غِنَى له عنه طَرْفَةَ عيْنٍ، ومَنْ يعلَمُ أنه إن حُرِمَه هَلكَ. ثم إنْ قَدَرْتَ على أنْ تُجاوزَ ذلك إلى التفقُّه في الدين والعبادة، فهو أفضلُ وأكملُ.

وأصلُ الأمر في صلاح الجسد أن لا تحملَ عليه من المآكل والمشرب والباه إلَّا خِفًّا . ثم إنْ قَدَرْتَ على أنْ تعلَمَ جميعَ منافعِ الجسد ومضارِّهِ والانتفاعَ بذلك كلِّه فهو أفضَلُ.

وأصلُ الأمر في البأس والشجاعة أن لا تُحدِّث نفسَك بالإدبار، وأصحابُك مقبلون على عدوِّهم، ثم إنْ قدرتَ على أنْ تكون أوَّلَ حامل وآخرَ مُنْصَرِفٍ،

من غير تضييع للحذر ، فهو أفضلُ.

وأصلُ الأمرِ في الجُودِ أن لا تضِنَّ بالحقوق على أهلها. ثم إنْ قدرتَ أنْ تزيدَ ذا الحقِّ على حقِّه وتَطَوَّلَ على مَن لا حقَّ لهُ فافعلْ، فهو أفضَلُ. وأصلُ الأمرِ في الكلامِ أنْ تَسْلَم من السَّقَطِ بالتحفُّظِ. ثم إنْ قدَرْتَ على بارع الصواب، فهو أفضل.

وأصلُ الأمر في المعيشة ألَّا تَنِيَ عن طلب الحلال، وأنْ تُحْسِنَ التقدير لما تُفيدُ وما تُنْفِقُ. ولا يَغُرَّنْكَ من ذلك سَعَةٌ تكونُ فيها. فإنَّ أعظم الناس في الدنيا خَطَرًا أحوجُهُم إلى التقدير؛ والملوكُ أحوجُ إليهِ من السُّوقةِ لأن السُّوقة قد تعيشُ بغيرِ مالٍ، والملوك لا قِوَام لهم إلَّا بالمالِ. ثم إنْ قَدَرْتَ على الرفق واللُّطْفِ في الطلب، والعلم بوجوه المطالب فهو أفضلُ.

∴

وأنا واعظُكَ في أشياءَ من الأخلاق اللطيفة والأمور الغامضة التي لو حَنَّكَتْكَ سِنٌّ كنتَ خليقًا أنْ تعلمها، وإنْ لم تُخْبَر عنها. ولكنَّني قد أحببتُ أنْ أُقدِّم إليك فيها قولًا لترُوض نفسك على محاسنها قبل أنْ تجْرِيَ على عادة مساويها. فإنّ الإنسان قد تَبْتَدرُ إليه في شبيبته المساوئُ، وقد يغلب عليه ما بَدَر إليه منها للعادة. فإنَّ لِترك العادة مؤونةً شديدة ورياضةً صعبة.

NewPP limit report Parsed by mw-api-ext.eqiad.main-58f67cf59c-k2hpm Cached time: 20260913180733 Cache expiry: 2592000 Reduced expiry: false Complications: [] CPU time usage: 0.113 seconds Real time usage: 0.253 seconds Preprocessor visited node count: 489/1000000 Revision size:

416/2097152 bytes Post-expand include size: 15453/2097152 bytes Template argument size: 1786/2097152 bytes Highest expansion depth: 9/100 Expensive parser function count: 0/500 Unstrip recursion depth: 1/20 Unstrip post-expand size: 18440/5000000 bytes Lua time usage: 0.017/10.000 seconds Lua memory usage: 1343917/52428800 bytes Number of Wikibase entities loaded: 0/500

Transclusion expansion time report (%,ms,calls,template)
100.00% 236.349 1 -total 26.64% 62.963 1 قالب:ترويسة
13.48% 31.855 1 صفحة:الأدب_الكبير.1 20.312 8.59% pdf/9
صفحة:الأدب_الكبير.1 20.291 8.59% pdf/10
صفحة:الأدب_الكبير.1 18.381 7.78% pdf/11
صفحة:الأدب_الكبير.1 9.949 4.21% pdf/12 صفحة:الأدب_الكبير.pdf/14
Proofreadpage_pagenum_template:ميدياويكي 9.554 7 4.04%
2.54% 5.999 2 قالب:أسفل 2.44% 5.774 2 قالب:خطأ

Render ID fdebacd1-af9d-11f1-bd3a-4f7351360466

Saved in parser cache with key arwikisource:pcache:241842:|#|:idhash:canonical and timestamp 20260913180733 and revision id 486972. Rendering was triggered because: api-parse

آداب السلطان

بَابُ

إن أبتليت بالسلطان فتعوّذ بالعلماء.

واعلم أنَّ من العَجَب أنْ يُبتلى الرجل بالسلطان، فيريد أنْ ينتقص من ساعات نصَبه وعمله، فيزيدها في ساعات دَعَتِه وفَراغه وشهوته وعبثه ونومه.

وإنما الرأيُ له والحقُّ عليه أنْ يأخذ لعمله من جميع شُغْله، فيأخُذَ له من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولَهْوِهِ ونسائه قدْرَ ما يكونُ به إصلاح جسمه وتقويةٌ له على إتمام عمله.

وإنما تكون الدَّعة بعد الفراغ.

فإذا تقلَّدْتَ شيئًا من أمر السلطان فكن فيه أحد رجلين:

إمَّا رجلًا مغتبطًا به، محافظًا عليه مخافةَ أنْ يزول عنه؛

وإمَّا رجلًا كارهًا له مُكرَهًا عليه. فالكاره عاملٌ في سُخرةٍ: إمَّا للملوك، إنْ كانوا هم سلَّطوه؛ وإمَّا لله تعالى ،إنْ كان ليس فوقه غيرُه.

وقد عَلِمْتَ أنه مَن فرَّط في سخْرَة الملوك أهلكوه. فلا تجعلْ للهلاك على نفسك سلطانًا ولا سبيلًا.

وإياك — إذا كنتَ واليًا — أنْ يكونَ من شأنك حبُّ المدح والتزكيةِ، وأنْ يعرف الناس ذلك منك، فتكون ثُلْمَةً من الثُّلَمِ يتقحَّمون عليك منها، وبابًا يفتتحونك

منه، وغيبةً يغتابونك بها ويضحكون منك لها.

واعلم أنَّ قابِلَ المدح كمادح نفسه. والمرءُ جديرٌ أنْ يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رَدِّه. فإنّ الرادَّ له محمود، والقابِلَ له مَعِيبٌ.

بَابُ

لِتَكنْ حاجَتُك في الولاية إلى ثلاثِ خصال: رِضَى ربك، ورِضَى سلطان — إنْ كان فوقك — ورِضَى صالح مَن تَلِي عليه.

ولا عليك أنْ تلهو عن المال والذِّكْر، فسيأتيك منهما ما يحسنُ ويطيب ويُكتفى به.

واجعل الخصالَ الثلاث منك بمكانِ ما لا بُدَّ لك منه. واجعل المال والذِّكْر بمكان ما أنت واجد منه بُدًّا.

بَابُ

اعرَفِ الفضلَ في أهل الدين والمُرُوءة في كل كُورة وقَرْيةٍ وقبيلة. فلْيكونوا هم إخوانَك وأعوانَك وأخدانَك وأصفياءَك وبطانَتَك ولطفاءَك وثِقاتِك وخُلَطاءك ولا تَقذِفنَّ في رُوعِك أنك إنْ استشرت الرجال، ظهر للناس منك الحاجةُ إلى رأي غيرك. فإنّك لست تريد الرأي للافتخار به، ولكنَّما تريده للانتفاع به. ولو أنك مع ذلك أردت الذكر، كان أحسن الذكرين وأفضلهما عند أهل الفضل والعقل أنْ يقال: لا يتفرَّد برأيه دُون استشارة ذوي الرأي.

∴

إنك إنْ تلتمس رِضَى جميعِ الناس، تلتمسْ ما لا يُدْرَكُ.

وكيف يتَّفق لك رأي المختلفين؟ وما حاجَتُك إلى رِضَى مَنْ رِضاهُ الجَوْر، وإلى مُوافَقَة مَنْ مُوَافَقَتُه الضلالةُ والجهالة؟ فعليك بالتماس رِضَى الأخيار منهم وذوي العقل. فإنَّك متى تُصِب ذلك، تَضَعْ عنك مَؤونة ما سواه.

بَابُ

لا تُمَكِّنْ أهل البلاء الحَسَن عندك من التدلُّل عليك، ولا تُمكِنَنَّ مَن سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم .

∴

لِتَعْرِفْ رعيَّتُك أبوابك التي لا يُنال ما عندك من الخير إلَّا بها، والأبوابَ التي لا يَخافُك خائف إلَّا من قِبَلها.

∴

احرص الحِرصَ كلَّه على أنْ تكون خابرًا أمورَ عُمَّالك. فإنَّ المُسيء يَفْرَق من خُبْرتك قبل أنْ يُصيبَهُ وَقْعُك به وعُقوبتك؛ وإنَّ المُحْسِن يستبشر بعلمك قبل أنْ يأتيه مَعروفُك.

∴

لِيعرف الناسُ، فيما يعرفون من أخلاقك، أنك لا تُعاجِلُ بالثواب ولا بالعقاب! فإنَّ ذلك هو أدوم لخوف الخائف ورجاء الراجي.

بَابُ

عوِّدْ نفسك الصبرَ على مَن خالفك من ذوي النصيحة، والتجرُّعَ لمرارة قولهم وعذْلهم، ولا تُسهِّلنَّ سبيل ذلك إلَّا لأهل العقل والسِّنِّ والمروءة، لئلا ينتشر من ذلك ما يجترِئُ به سفيه أو يَسْتَخِفُّ به شانِئ .

بَابُ

لا تتركَنَّ مباشرة جسيم أمرك فيعودَ شأنُك صغيرًا؛ ولا تُلزمن نفسك مباشرة الصغير، فيصيرَ الكبيرُ ضائعًا.

∴

واعلم أنَّ مَالكَ لا يُغني الناسَ كلهم، فاخصص به أهل الحقّ؛ وأنَّ كرامتك لا تُطيق العامَّةَ كلها ، فتَوَخَّ بها أهل الفضل؛ وأنَّ قلبك لا يتسع لكل شيء، ففرِّغه للمهم؛ وأنَّ ليلك ونهارك لا يستوْعبان حاجاتك (وإنْ دأبتَ فيهما)؛ وأنْ ليس لك إلى إدامة الدأب فيهما سبيلٌ مع حاجة جسدك إلى نصيبه منهما. فأحْسِنْ قسمتهما بين عملك ودَعَتِك.

∴

واعلم أنَّ ما شَغَلْتَ من رأيك بغير المهم أزرَى بك في المهم، وما صَرَفْتَ من مالك في الباطل فَقَدْتَهُ حين تُريدُهُ للحقّ، وما عدَلْتَ به من كرامتك إلى أهل النقص أضرَّ بك في العجز عن أهل الفضل، وما شغَلتَ من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزرى بك عند الحاجة منك إليه.

∴

اعلم أنَّ من الناس ناسًا كثيرًا يبلغ من أحدهم الغضبُ — إذا غَضِب — أنْ يحمله ذلك على الكُلُوح والقُطُوب في وجه غير مَن أغضَبَه، وسوءِ اللفظ لمَن لا ذنْبَ له، والعقوبةِ لمن لم يكن يَهِمُّ بمعاقبته، وشدَّةِ المعاقبة باللسان واليدِ لمَنْ لم يكن يُريد به إلَّا دُونَ ذلك. ثم يبلغ به الرِضَى — إذا رضي — أنْ يتبرَّع بالأمر ذي الخطر لمَنْ ليس بمنزلة ذلك عنده، ويُعطي مَن لم يكن يُريد إعطاءَه، ويُكْرِمَ مَنْ لم يُرد إكرامه ولا حقَّ له ولا مودَّةَ عنده.

فاحذر هذا الباب الحذَرَ كلَّه! فإنّه ليس أحدٌ أسوأَ فيه حالًا من أهل السلطان الذين يُفْرِطون باقتدارهم في غضبهم وبتسرَّعهم في رضاهم. فإنّه لو وُصِفَ بهذه الصفة مَن يُلْتَبَسُ بعقله أو يتخبَّطه المَسُّ أنْ يُعاقِبَ عند غضبه غيْرَ مَن أغضبه ويَحْبو عند رضاه غير مَن أرضاه، لكان جائزًا ذلك في صفته.

بَابُ

اعلم أنَّ المُلك ثلاثةٌ: مُلْكُ دِينٍ، ومُلْكُ حزمٍ، ومُلْكُ هوًى.

فأمَّا مُلْكُ الدِّين فإنه إذا أقام للرعية دينهم — وكان دينهم هو الذي يُعطيهم الذي لهم ويُلْحِق بهم الذي عليهم — أرضاهم ذلك، وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم.

وأمَّا مُلْكُ الحزم فإنه يقوم به الأمر ولا يَسْلَمُ من الطعن والتسخُّط. ولن يَضُرَّ طعنُ الضعيف مع حزم القويِّ.

وأمَّا مُلْكُ الهوى فَلَعِبُ ساعةٍ ودَمارُ دهرٍ.

بَابُ

إذا كان سلطانك عند جِدَّةِ دولةٍ، فرأيتَ أمرًا استقام بغير رأي، وأعوانًا أجْرَوا بغير نَيْل، وعملًا أَنْجَح بغير حزم، فلا يغرَّنك ذلك ولا تَسْتَنِيمَنَّ إليه. فإن الأمر الجديد رُبَّما يكون له مهابةٌ في أنفس أقوام وحلاوةٌ في قلوب آخرين، فيُعينُ قومٌ على أنفسهم ويعين قومٌ بما قِبَلَهم. ويَسْتَتِبُّ ذلك الأمر غيرَ طويلٍ، ثم تصير الشؤُون إلى حقائقها وأصولها.

فما كان من الأمور بُنِي على غير أركانٍ وثيقةٍ ولا دعائمَ مُحكمة، أوْشَكَ أنْ يتداعَى ويتصدَّعَ.

∴

لا تكونَنَّ نَزْر الكلام والسلام، ولا تبلُغنَّ بهما إفراط الهشاشة والبشاشة. فإنَّ إحداهما من الكِبْر والأخرى من السُّخْفِ.

بَابُ

إذا كنتَ إنما تضبط أمورك وتصولُ على عدوِّك بقومٍ لستَ منهم على ثِقةٍ من دِينٍ ولا رأي ولا حِفاظٍ من نيَّة، فلا تفعلْ نافلةً ، حتى تحمِلهم — إنْ استطعت — على الرأي والأدب الذي بمثله تكون الثقة، أو تستبدِلَ بهم، إنْ لم تستطع نقلهم إلى ما تريد. ولا تَغُرَّنك قوَّتُك بهم على غيرهم. فإنَّما أنت في ذلك كراكبِ الأسد الذي يَهَابُهُ مَن نظر إليه، وهو لِمَرْكَبه أهْيَبُ.

بَابُ

ليس للمَلِك أنْ يَغْضَبَ، لأنَّ القُدرة من وراء حاجته.

وليس له أنْ يكذِبَ، لأنه لا يقدِر أحد على استكراهه على غير ما يُريد.

وليس له أنْ يبخل، لأنه أقل الناس عذرًا في تخوُّف الفقر.

وليس له أنْ يكونَ حَقُودًا، لأنّ خَطَرَه قد عَظُم عن مجاراة كل الناس.

وليس له أنْ يكون حلَّافًا. لأن أحق الناس باتقاء الأيمان الملوكُ، فإنما يَحمل الرجل على الحَلِف إحدى هذه الخصال:

إمَّا مَهانة يجدها في نفسه، وضَرَعٌ وحاجة إلى تصديق الناس إياه؛

وإمَّا عِيٌّ بالكلام، فيجعلُ الأيمانَ له حَشْوًا ووصلًا؛ وإمَّا تُهمةٌ قد عرفها من الناس لحديثه ، فهو يُنْزِل نفسَه منزِلةَ مَنْ لا يُقبَل قولُهُ إلَّا بعد جَهْد اليمين ؛

وإمَّا عَبَثٌ بالقول وإرسالٌ لِلِّسان على غير رَوِيَّة ولا حُسْن تقديرٍ، ولا تعويدٍ له قولَ السَّداد والتثبُّتَ.

بَابُ

لا عَيْبَ على المَلِك في تعيُّشه وتنعمه ولَعِبِهِ ولَهْوِهِ، إذا تعاهد الجسيمَ من أمره بنفسه وأحكمَ المهمَّ، وفوَّض ما دُونَ ما دُون ذلك إلى الكُفاة .

∴

كلُّ أحدٍ حقيق — حين ينظر في أمور الناس — أنْ يتَّهِمَ نَظرَهُ بعين الريبة ، وقلبَه بعين المقت . فإنهما يُزيِّنان الجَوْر، ويحملان على الباطل، ويُقَبِّحان الحَسن، ويُحسِّنان القبيح.

وأحقُّ الناس باتّهام نظره بعيْن الرِيبة وعيْن المقتِ السلطانُ الذي ما وقع في

قلبه رَبَا مع ما يُقَيض له من تزيين القُرَناء والوزراء.

وأحق الناس بإجبار نفسه على العدل في النظر والقول والفعل؛ الوالي الذي ما قال أو فعل كان أمرًا نافذًا غيرَ مردود.

∴

لِيعلم الوالي أنَّ الناس يَصِفُون الوُلاة بسُوءِ العهد ونِسيان الوُدّ، فلْيُكابِر نقْضَ قولهم، ولْيُبطل عن نفسه وعن الوُلاة صفات السوء التي يُوصفون بها.

بَابُ

حقُّ الوالي أنْ يتفقَّد لطيف أمور رعيته، فضلًا عن جسيمها، فإن لِلَّطيف موضعًا يَنْتفِع به، وللجسيم موضعًا لا يَستغني عنه.

∴

لِيتفقَّد الوالي — فيما يتفقد من أمور رعيته — فاقة الأخيار والأحرار منهم، فلْيعمَلْ في سَدِّها! وطُغْيانَ السْفَلة منهم، فليقمَعْه! ولْيَسْتَوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان! فإنّما يَصُول الكريمُ إذا جاع، واللئيم إذا شبِع.

بَابُ

لا ينبغي للوالي أنْ يحسُدَ الولاة إلَّا على حسن التدبير.

ولا يحسُدنَّ الوالي مَن دونه. فإنّه أقلُّ في ذلك عُذرًا من السُّوقة التي إنما تحسُدُ مَن فوقها.

وكُلٌّ لا عُذْرَ له.

بَابُ

لا يلومنَّ الوالي على الزَّلَّة مَنْ ليس بمُتَّهَم عنده في الحرص على رضاه، إلَّا لَوْمَ أدَبٍ وتقويم! ولا يعدِلنَّ بالمجتهد في رضاه البصير البصير بما يأتي أحدًا!

فإنهما إذا اجتمعا في الوزير والصاحب نام الوالي واستراح، وجُلِبت إليه حاجاته، وإنْ هدأ عنها، وعُمِل له فيما يُهمُّه وإنْ غَفَلَ.

∴

لا يُولعَنَّ الوالي بسوء الظنِّ لقول الناس، ولْيجعل لحُسن الظن من نفسه نصيبًا موفورًا يروِّح به عن قلبه ويُصدِر عنه في أعماله!

∴

لا يُضيِّعَنَّ الوالي التثبُّت عندما يقول، وعندما يُعطي، وعندما يَعْمل.

فإنَّ الرجوعَ عن الصمت أحسنُ من الرجوع عن الكلام؛ وإنَّ العطيَّة بعد المنع أجملُ من المنع بعد الإعطاء؛ وإنَّ الإقدام على العمل بعد التأنِّي فيه أحسنُ من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه.

وكلُّ الناس محتاجٌ إلى التثبت.

وأحوجهم إليه ملوكُهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافعٌ، وليس عليهم مستحِثٌّ.

بَابُ

لِيعلم الوالي أنَّ من الناس حُرَصاءَ على زِيِّه ، إلَّا مَن لا بالَ له! فلْيَكُنْ للدِّين والبرِّ والمُرُوءَة عنده نَفاق، فيُكسِدُ بذلك الفُجُورَ والدناءةَ في آفاق الأرض!

بَابُ

جُمَاع ما يحتاج إليه الوالي من أمر الدنيا رأيان: رأي يُقَوِّي به سلطانَه، ورأيٌ يُزيِّنه في الناس.

ورأي القوة أحقهما بالبُداءة وأوْلاهما بالأَثَرة .

ورأي التزيين أحضرهما حلاوةً وأكثرهم أعوانًا.

مع أنَّ القوَّة من الزينة، والزينة من القوة. ولكنَّ الأمر يُنْسَب إلى مُعْظَمِه وأصله.

NewPP limit report Parsed by mw-api-ext.eqiad.main-58f67cf59c-mr5jn Cached time: 20260913175608 Cache expiry: 2592000 Reduced expiry: false Complications: [] CPU time usage: 0.113 seconds Real time usage: 0.357 seconds Preprocessor visited node count: 1915/1000000 Revision size: 475/2097152 bytes Post-expand include size: 39654/2097152 bytes Template argument size: 5635/2097152 bytes Highest expansion depth: 6/100 Expensive parser function count: 0/500 Unstrip recursion depth: 1/20 Unstrip post-expand size: 56296/5000000 bytes Lua time usage: 0.016/10.000 seconds Lua memory usage: 2344799/52428800 bytes Number of Wikibase entities loaded: 0/500

Transclusion expansion time report (%,ms,calls,template) 100.00% 345.526 1 -total 11.49% 39.685 1 قالب:ترويسة 7.72%

1 26.686 صفحة:الأدب_الكبير.1 22.696 6.57% pdf/16
صفحة:الأدب_الكبير.1 20.901 6.05% pdf/17
صفحة:الأدب_الكبير.1 19.254 5.57% pdf/26
صفحة:الأدب_الكبير.1 18.998 5.50% pdf/36
صفحة:الأدب_الكبير.1 16.375 4.74% pdf/22
صفحة:الأدب_الكبير.6 15.519 4.49% pdf/35 قالب:ع2 2.60% 8.972 1 1
صفحة:الأدب_الكبير.pdf/19

Render ID 65a0f2df-af9c-11f1-ac3f-25e911aa207a

Saved in parser cache with key arwikisource:pcache:241844:|#|:idhash:canonical and timestamp 20260913175608 and revision id 487094.
Rendering was triggered because: api-parse

صحبة السلطان

بَابُ

إنْ ابتُليتَ بصحبة السلطان، فعليك بطول المواظبة في غير معاتبة، ولا يُحْدِثَنَّ لك الاستئناسُ به غفلةً ولا تهاونًا.

∴

إذا رأيتَ السلطان يجعلك أخًا فاجعله أبًا، ثم إن زادك فزِدْهُ.

بَابُ

إنْ استطعتَ ألَّا تصحَبَ مَن صَحِبْت مِنَ الولاة إلَّا على شُعْبة من قرابة أو مودَّة فافعل. فإن أخطأك ذلك، فاعلم أنك إنّما تعمل على السُّخْرة.

بَابُ

إنْ استطعت أنْ تجعل صُحْبَتَك لمن قد عَرَفَك بصالح مُرُوءَتك وصحَّة دِينك وسلامة أُمورك قبل ولايته فافعل.

فإنَّ الوالي لا عِلْمَ له بالناس إلَّا ما قد عَلِمَ قبل ولايته. أمَّا إذا وَلي، فكلُّ الناس يلقاه بالتزيُّن والتصنُّع، وكلهم يحتال لأنْ يُثنَى عليه عنده بما ليس فيه. غير أنَّ الأنذال والأرذال هم أشدُّ لذلك تصنُّعًا وأشدُّ عليه مثابرة وفيه تمحُّلًا.

فلا يمتنع الوالي — وإنْ كان بليغ الرأي والنظر — من أنْ يَنْزِل عنده كثيرٌ من الأشرار بمنزلة الأخيار، وكثيرٌ من الخانة بمنزلة الأُمَنَاء، وكثيرٌ من الغَدَرَة بمنزلة الأوفياء؛ ويغَطَّى عليه أمرُ كثير من أهل الفضل الذين يصونون أنفسهم عن التمحُّل والتصنُّع.

بَابُ

إذا عرَفتَ نفسَك من الوالي بمنزلة الثقة، فاعزل عنه كلام المَلَق، ولا تُكثرنَّ من الدعاء له في كل كلمة، فإنَّ ذلك شبيهٌ بالوَحْشة والغُربة، إلَّا أنْ تكلِّمه على رءوس الناس، فلا تَأْلُ عمَّا عظَّمه ووقَّره.

∴

لا يعرِفنَّك الوُلاةُ بالهوَى في بلدٍ من البُلدان ولا قبيلة من القبائل، فيُوشِكُ أنْ تحتاجَ فيهما إلى حكاية أو شهادة، فتُتَّهم في ذلك.

فإذا أردتَ أنْ يُقْبل قولُكَ فصحِّحْ رأيك ولا تَشُوبَنَّه بشيء من الهوى. فإنّ الرأي الصحيح يقبله منك العدوُّ، والهوى يردُّه عليك الولَد والصديق.

وأحقُّ مَن احترستَ منه من أنْ يظُنَّ بك خَلْطَ الرأي بالهوى الولاةُ. فإنَّها خديعة وخيانة وكُفر عندهم.

بَابُ

إنْ ابتُليتَ بصحبة والٍ لا يُريد صلاح رعيّته، فاعلم أنك قد خُيرتَ بين خَلَّتين ليس منهما خِيَارٌ:

إمَّا الميل مع الوالي على الرعيَّة، وهذا هلاك الدِّين؛

وإمَّا الميل مع الرعيَّة على الوالي، وهذا هلاك الدنيا.

ولا حيلةَ لك إلَّا الموتُ أو الهَرَب.

∴

واعلم أنه لا ينبغي لك — وإنْ كان الوالي غير مرضيَّ السيرة، إذا عَلِقَتْ حبالُك بحباله — إلَّا المحافظة عليه، إلَّا أنْ تجدَ إلى الفِراق الجميل سبيلًا.

∴

تَبَصَّرْ ما في الوالي من الأخلاق التي تُحِبُّ له والتي تَكْرَهُ، وما هو عليه من الرأي الذي تَرْضَى له والذي لا ترضى. ثم لا تُكابِرَنَّه بالتحويل له عما يُحبُّ ويَكرَه إلى ما تُحبُّ وتَكْرَه، فإنَّ هذه رياضة صَعبة تحمِلُ على التنائي والقِلَى . فإنك قلَّما تقدِرُ على ردِّ رجلٍ عن طريقةٍ هو عليها بالمكابرة والمناقضة، وإنْ لم يكن ممن يجمحُ به عزُّ السلطان. ولكنَّك تقدر على أنْ تُعينه على أحسن رأيه، وتُسَدِّدَه فيه وتُزَيِّنَه، وتُقَوِّيه عليه. فإذا قَوِيتْ منه المحاسنُ، كانت هي التي تكفيك المساوئَ.

وإذا استحكمتْ منه ناحية من الصواب، كان ذلك الصواب هو الذي يُبصِّره مواقع الخطأ بألطفَ من تبصيرك وأعدلَ من حُكمك في نفسه. فإنَّ الصوابَ يُؤيِّد بعضُه بعضا، ويدعو بعضه إلى بعض حتى تستحكمَ لصاحبه الأشياء، ويظهرَ عليها بتحكيم الرأي. فإذا كانت له مكانةٌ من الأصالة، اقتلع ذلك الخطأ كلَّه.

فاحفظ هذا البابَ وأحْكِمْه!

بَابُ

لا يكونَنَّ طلبُك ما عند الوالي بالمسألة! ولا تستبطئه، وإنْ أبطأ عليك. ولكن اطلُبْ ما قِبَلهُ بالاستحقاق له، واسْتَأْنِ به وإنْ طالت الأناة منه. فإنك إذا استحققته، أتاك عن غير طلب وإنْ لم تستبطئه، كان أعْجَلَ له.

بَابُ

لا تُخبرنَّ الوالي أنَّ لك عليه حقًّا، وأنك تعتدُّ عليه ببلاءٍ. وإنْ استطعت ألَّا ينسى حقَّك وبلاءك فافعل. ولْيكُن ما يُذَكِّره به من ذلك تجديدُك له النصيحةَ

والاجتهاد، وأن لا يزالَ ينظُرُ منك إلى آخر يُذَكِّره أوَّلَ بلائك.

واعلمْ أنَّ السلطان إذا انقطع عنه الآخِرُ، نسي الأوَّل، وأنَّ أرحامُهم مقطوعةٌ وحبالهم مصرومةٌ، إلَّا عمَّن رضوا عنه وأغنى عنهم في يومهم وساعتهم.

∴

إياك أنْ يقعَ في قلبك تعتُّبٌ على الوالي أو استزراءٌ لهّ!

فإنه إيُّ أَثَرٍ وقع في قلبك، بَدَا في وجهك، إنْ كنت حليمًا؛ وبدا على لسانك إنْ كنت سفيهًا.

فإن لم يَزِدْ ذلك على أنْ يَظهرَ في وجهك لآمَنِ الناس عندك، فلا تأمننَّ أنْ يظهر ذلك للوالي.

فإنَّ الناس إلى السلطان بعَوْرات الإخوان سِرَاعٌ، فإذا ظهر ذلك للوالي كان قلبُه هو أسرعَ إلى النفور والتغيُّر من قلبك. فَمَحَق ذلك حسناتِك الماضية، وأشرف بك على الهلاك، وصرت تعرف أمرَك مستدبرًا، وتلتمِس مرضاة سلطانك مستصعِبًا. ولو شئتَ، كنتَ تركتَه — بإذن الله — راضيًا. وازددتَ من رضاه دُنُوًّا.

بَابُ

اعلم أنَّ أكثر الناس عدوًّا جاهدًا حاضرًا جريئًا واشيًا وزيرُ السلطان ذو المكانة عنده. لأنه منفوسٌ عليه مكانُه بما يُنْفسُ على صاحب السلطان، ومحسودٌ كما يُحْسد. غير أنه يُجْتَرأ عليه، ولا يُجْتَرأ على السلطان؛ لأنَّ من حاسديه أحْيَاءَ السلطان وأقاربَهُ الذين يشاركونه في المَداخل والمَنازل. وهم وغيرهم من

عَدُوِّه حُضَّورٌ، وليسوا كعدوِّ السلطان النائي عنه والمُكْتَتِم منه، وهم لا ينقطع طمعهم من الظفر به. فلا يَغْفُلُون عن نَصْب الحبائل له.

فاعرِفْ هذه الحال، والْبَس لهؤلاء القوم — الذين هم أعداؤُك — سلاحَ الصحة والاستقامة، ولُزُومَ المَحَجَّة فيما تُسرُّ وتُعلِنُ. ثم رَوِّحْ عن قلبك حتَّى كأنك لا عدوَّ لك ولا حاسد.

∴

وإنْ ذكَرَك ذاكرٌ عند السلطان بسوءٍ في وجهك أو في غَيْبَتِك، فلا يَرَينَّ السلطان ولا غيرُهُ منك اختلاطًا لذلك ولا اغتياظًا ولا ضجرًا؛ ولا يَقَعَنَّ ذلك في نفسك موقع ما يُكْرِثك . فإنه إنْ وقع منك ذلك المَوْقِعَ، أدخل عليك أمورًا مشتبهة بالرِّيبة، مُذكِّرة لما قال فيك العائبُ. وإنْ اضطرَّك الأمرُ في ذلك إلى الجواب، فإيَّاك وجوابَ الغَضَب والانتقام! وعليك بجواب الحُجَّة في حِلمٍ ووقار!

ولا تَشُكَّنَّ في أنَّ الغَلَبَةَ والقوَّةَ للحليم أبدًا.

∴

لا تتكلَّمَنَّ عند الوالي كلامًا أبدًا إلَّا لعناية، أو يكون جوابًا لشيء سُئِلتَ عنه. ولا تُحضِرنَّ عند الوالي كلامًا أبدًا لا تُعْنَى به، أو تُؤمر بحضوره.

∴

ولا تَعُدَّنَّ شَتْم الوالي شتمًا، ولا إغْلاظه إغْلاظًا، فَإن ريح العِزَّة قد تَبْسُط اللسان بالغِلظة في غير سُخطٍ ولا بأس.

بَابُ

جانِبِ المسخوط عليه والظنِينَ به عند السلطان. ولا يجمعنَّك وإياه مجلسٌ ولا منزلٌ! ولا تُظهِرنَّ له عُذْرًا، ولا ولا تُثْنِيَنَّ عليه خيرًا عند أحد من الناس!

فإذا رأيته قد بَلَغَ من الإعْتاب مما سُخِط عليه فيه ما ترجُو أنْ تُلِينَ له به قلب الوالي، واستَيْقنت أنَّ الوالي قد استيقن بمباعدتك إياه وشدَّتِك عليه عند الناس، فضعْ عُذْره عند الوالي واعْمَل في إرضائه عنه، في رفقٍ ولطفٍ.

∴

لِيَعْلم الوالي أنك لا تستنكِفُ عن شيء من خدمته. ولا تَدَعُ مع ذلك أنْ تُقدِّم إليه القولَ — على بعض حالات رضاهُ وطِيب نفْسِهِ — في الاستعفاء من الأعمال التي هي أهلٌ أنْ يَكْرَهَهَا ذو الدِّين وذو العقل وذو العِرْض وذو المروءة: من ولايةِ القتل والعذاب وأشباه ذلك.

∴

إذا أصبتَ الجاهَ والخاصة عند السلطان، فلا يُحْدِثنَّ لك ذلك تغيُّرًا على أحد من أهله وأعوانه، ولا استغناء عنهم؛ فإنك لا تدري متى تَرى أدنَى جفوة أو تغيُّر فتذِلَّ لهم فيها.

وفي تلوُّن الحال عند ذلك من العار ما فيه.

∴

لِيكنْ مما تُحْكِمُ من أمرك ألَّا تسارَّ أحدًا من الناس ولا تهمِسَ إليه بشيء

تُخفيه على السلطان أو تُعلنُه. فإنَّ السِّرَار مما يُخيِّل إلى كل من رآه من ذي سلطان أو غيره أنه المرادُ به. فيكون ذلك في نفسه حَسِيكة ووغرًا وثُقْلًا.

بَابُ

لا تتهاونَّ بإرسال الكَذْبَةِ عند الوالي أو غيره في الهزل، فإنها تُسرع في إبطال الحق وردِّ الصدق مما تأتي به.

∴

تنكَّبْ فيما بينك وبين السلطان، وفيما بينك وبين الإخوان، خُلُقًا قد عَرَفناه في بعض الوزراء والأعوان وأصحاب الأبَّهات في ادعاء الرجُلِ — عندما يَظْهَرُ من صاحبه حُسْن أثر أو صوابِ رأي — أنه عَمِل في ذلك وأشار به، وإقرارِه بذلك إذا مدحه به مادحٌ. بل وإنْ استطعتَ أن تُعرِّف صاحبك أنك تَنْحَلُهُ صوابَ رأيك — فضلًا عن أنْ تدَّعِيَ صوابه — وتسنِدَ ذلك إليه وتزيِّنه به فافعل.

فإن الذي أنت آخذ بذلك أكثرُ مما أنت مُعطٍ بأضعاف.

بَابُ

إذا سأل الوالي غيرَك فلا تكونَّ أنت المُجيبَ عنه. فإن اسْتِلابَك الكلامَ خِفَّةٌ بك، واستخفاف منك بالمسؤول وبالسائل.

وما أنت قائلٌ إنْ قال لك السائل: ما إياك سألتُ! أو قال لك المسؤُول عند المسألة يُعادُ له بها: دونك فأجب!

وإذا لم يقصد السائل في المسألة لرجل واحد وعَمَّ بها جماعة مَن عنده، فلا تُبادرنَّ بالجواب، ولا تُسابق الجُلَساء، ولا تُواثِبْ بالكلام مواثبةً. فإن ذلك يجمع مع الشَّيْنِ التكلُّفَ والخِفَّةَ.

فإنّك إذا سبَقْتَ القومَ إلى الكلام، صاروا لكلامِكَ خُصَمَاء فتعقبوه بالعيب والطعن. وإذا أنت لم تعجَل بالجواب وخليته للقوم، اعْتَرَضتَ أقاويلهم على عينك، ثم تَدَبَّرتها وفكَّرْتَ فيما عندَك، ثم هيَّأت من تفكيرك ومحاسنِ ما سمعتَ جوابًا رضيًّا، ثم استدبرتَ به أقاويلهم حين تُصِيخُ إليك الأسماعُ ويهدأ عنك الخصومُ .

وإنْ لم يَبْلُغْكَ الكلام حتى يُكْتَفَى بغيرك، أو ينقطعَ الحديث قبلَ ذلك، فلا يكونُ من العَيْبِ عنِدَك ولا من الغَبْنِ في نفسك فَوْتُ ما فاتك من الجواب.

فإنَّ صيانَة القول خيرٌ من سوء وضعه، وإنَّ كلمةً واحدةً من الصَّواب تُصيبُ موضِعَها خيرٌ من مائة كلمة تقولُها في غير فُرَصِها ومواضعها. مع أنَّ كلام العَجَلة والبدارِ مُوَكَّلٌ به الزَّلل وسوءُ التقدير، وإنْ ظنَّ صاحبُه أنَّه قد أتقنَ وأحكم.

واعلم أنَّ هذه الأُمور لا تُدْرَك ولا تُمْلَك إلَّا برُحْبِ الذَّرْع عند ما قيل وما لم يُقَل، وقلَّةِ الإعظام لما ظهر من المُرُوءَة أو لم يَظْهَر، وسَخاوَةِ النفس عن كثيرٍ من الصَّواب، مخافة الخلاف ومَخَافَة العَجَلَة ومخافة الحَسَد ومَخَافَة المِرَاءِ.

بَابُ

إذا كلَّمك الوالي فأصغِ إلى كلامه. ولا تَشْغَل طَرْفَك عنه بنظرٍ إلى غيره، ولا أطرافك بعملٍ، ولا قلبك بحديث نفس.

واحذر هذه الخصلة من نفسك، وتعاهدْها بجهدك.

بَابُ

ارْفُقْ بنُظَرائك من وزراء السلطان وأَخِلَّائِهِ ودُخلائه. واتَّخذهم إخوانًا ولا تتَّخذهم أعداءً. ولا تنافِسْهم في الكلمة يتقربون بها أو العمل يُؤمَرون به دُونك.

فإنِّما أنت في ذلك أحدُ رجلين:

إمَّا أنْ يكونَ عندك فَضْلٌ على ما عندَ غيْرِك، فسَوْف يبدو ذلك ويُحتاج إليه ويُلتمسُ منك، وأنت مُجْمِلٌ .

وإمَّا أن لا يكون ذلك عندك، فما أَنْتَ مُصيبٌ من حاجتك عند وزراء السلطان بمُقارَبتك وملائمتك إيَّاهم ومُلاينتِك.

وما أنت واجدٌ في موافقتك إيَّاهم ولِينك لهم من مُوافقتهم إياك ولِينهم لك أفضل ممَّا أنت مُدْرِكٌ بالمنافسة والمنافرة لهم.

∴

لا تَجْتَرِئَنَّ على خِلاف أصحابك عند الوالي، ثِقةً باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك.

فإنَّا قد رأَيْنَا الناسَ يَعْتَرِفون بفضل الرجل وينقادون له ويتعلَّمون منه، وهم أَحْلِيَاءُ. فإذا حَضَرُوا السلطان، لم يَرْضَ أحدٌ منهم أنْ يُقِرَّ له ولا أنْ يكون له عليه في الرأي والعِلْم فضلٌ، فاجتَرَأوا عليه بالخلاف والنَّقْض.

فإنْ ناقضهم، صار كأحدهم. وليس بواجدٍ في كل حين سامعًا فَهِمًا أو قاضيًا عَدْلًا.

وإنْ تَرَكَ مناقضتهم، كان مغلوبَ الرَّأي مردودَ القول.

∴

إذا أَصبْتَ عند السلطان لُطْفَ منزلة — لغَناء يَجِده عندك أو هوًى يكون له فيك — فلا تَطْمحنَّ كلَّ الطِّماح ولا تُزيِّنَنَّ لك نفسُك المزايلة له عن أليفه وموضع ثقته وسرِّه قَبْلَك، تُريدُ أنْ تقْلَعه وتَدْخُل دونه. فإنَّ هذه خَلَّة من خلال السَّفَهِ قد يُبْتلَى بها الحُلماءُ عند الدُّنُوِّ من السلطان حتى يُحدِّثَ الرجل منهم نفسَهُ أنْ يكونَ دُونَ الأَهْلِ والولد: لفضلٍ يظُنُّه بنفسه أو نقصٍ يَظُنُّه بغيره.

ولكلِّ رجلٍ من الملوك أو ذوي هيئةٍ من السُّوقة أليفٌ وأنيسٌ، قد عَرَفَ رُوحه رُوحه واطَّلع قلبه على قلبه، فليستْ عليه مَؤونة في تبذُّل يتبذَّلُه عنده، أو رأيٍ يسْتَبِين منه، أو سرٍّ يفشيه إليه. غير أنَّ تلك الأنَسَة وذلك الإلْف يَسْتخرج من كل واحد منهما ما لم يكن ليظهرَ منه عند الانقباض والتشدُّد. ولو التمس مُلتمسٌ مثل ذلك عند مَن يستأنِف ملاطفته ومؤانسته ومناسمته — وإنْ كان ذا فضل في الرّأي وبَسْطةٍ في العلم — لم يجِدْ عنده مِثْلَ ما هو مُنتفِعٌ به ممَّن هو

دون ذلك في الرأي ممن قد كُفي مؤانستَهُ ووقع على طباعه.

لأنَّ الأنَسَةَ رَوْحٌ للقلوب، وأنَّ الوَحْشَةَ رَوْعٌ عليها. ولا يَلْتَاطُ بالقلوب إلَّا ما لانَ عليها. ومَنِ استقبل الأُنس بالوحشة استقبلَ أمرًا ذا مؤونة .

فإذا كلَّفتْك نفسُك السُّمُوَّ إلى منزلة من وصفتُ لك، فاقْدَعْها عن ذلك بمعرفة فضل الأليف والأنيس. وإذا حدَّثتْك نفسك أو غيرُك — ممن لعلَّهُ أنْ يكون عنده فضل في مُرُوءة — أنك أولى بالمنزلة عند السلطان من بعض دُخلائه وثقاته، فاذكر الذي على السلطان من حقِّ أليفه وثقته وأنيسه في التكرِمة والمكانة والرأي، والذي يُعينه على ذلك من الرأي الذي يَجِدُه عند من الأليف والأنيس مما ليس واجدًا عند غيره.

فليكنْ هذا مما تتحفَّظُ فيه على نفسك وتعرِفُ فيه عذر السلطان ورأيه.

والرأي لنفسك مِثْلُ ذلك، إنْ أرادك مُريدٌ على الدخول دون أليفك وأنيسك وموضع ثقتك وسِرِّك وجِدِّك وهزلك.

∴

واعلم أنه يكاد يكون لكل رجل غالبة حديث لا يزال يُحدِّث به: إمَّا عن بلد من البُلدان أو ضَرْبٍ من ضروب العلم أو صِنف من صنوف الناس أو وجه من وجوه الرأي. وعندما يُغرَمُ به الرجل من ذلك، يبدُو منه السُّخْف ويُعرَف منه الهوىَ.

فاجتنبْ ذلك في كل موطن، ثُمَّ عند السلطان خاصَّةً.

بَابُ

لا تَشْكُوَنَّ إلى وزراء السلطان ودُخَلائِهِ ما اطَّلَعتَ عليه من رأْي تكْرهُهُ له. فإنَّك لا تَزِيد على أنْ تفطِّنَهم لهواه أو تُقرِّبَهم منه وتُغرِيهم بِتَزيين ذلك له والميل عليك معه.

بَابُ

واعلم أنَّ الرجلَ ذا الجاه عند السلطان والخاصة لا مَحَالَةَ أنْ يَرى من الوالي ما يخالفه من الرأي في الناس والأمور. فإذا آثر أنْ يَكْرَهَ كلَّ ما خالفه، أوشك أنْ يمتعِض من الجفوة يراها في المجلس، أو النَّبْوَة في الحاجة، أو الرَّد للرأي، أو الإدناء لمن لا يهوَى إدناءَه، أو الإقصاءِ لمن يكْرَهُ إقصاءَه.

فإذا وقعتْ في قلبه الكراهية، تغيَّر لذلك وجهه ورأيه وكلامه حتى يبدُو ذلك للسلطان وغيره. فيكون ذلك لفساد منزلته ومُرُوءَته سببًا وداعيًا.

فَذلِّلْ نفسَك باحتمال ما خالفك من رأي السلطان، وقرِّرْها على أنَّ السلطان إنما كان سلطانًا لتتَّبِعه في رأيه وهواه وأمرِهِ، ولا تكلِّفه اتِّباعَك وتغضَبَ من خلافهِ إياك.

بَابُ

اعلم أنَّ السلطان يقبل من الوزراء التبخيل ويَعُدُّه منهم شفقةً ونظرًا له، ويحمَدهم عليه.

فإن كان جوادًا وكنتَ مُبَخِّلًا ، شِنْتَ صاحبك بفساد مُرُوءَته؛ وإنْ كنتَ مُسَخِّيًا، لم تأْمَنْ إضرار ذلك بمنزلتك عنده.

فالرأي لك تصحيح النصيحة على وجهها، والتماسُ المخلَص من العيْب واللائمة فيما تترك من تبخيل صاحبك بأَنْ لا يعرف منك فيما تدعوه إليه ميلًا إلى شيء من هواك ولا طلبًا لغير ما ترجو أنْ يَزِينَهُ وينفَعَهُ.

بَابُ

لا تكونَنَّ صحبتك للملوك إلَّا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندَك، وموافقتهم فيما خالفك، وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك، وعلى ألَّا تكتُمَهم سرَّك ولا تستطلِع ما كتموك، وتُخفي ما أطلعوك عليه على الناس كلِّهم حتى تحميَ نفسك الحديث به، وعلى الاجتهاد في رضاهم، والتلطُّف لحاجتهم، والتثبيت لحُجَّتهم، والتصديق لمقالتهم، والتزيين لرأيهم، وعلى قلة الامتعاض لما فعلوا إذا أساءُوا، وترك الانتحال لما فعلوا إذا أحسنوا، وكثرة النشْر لمحاسنهم، وحُسْن السَّتر لمساويهم، والمقاربة لمن قاربوا وإنْ كانوا بُعَدَاءَ، والمباعدة لمن باعدوا وإنْ كانوا

أَقرباء، والاهتمام بأمرهم وإنْ لم يهتمُّوا به، والحفظ لهم وإنْ ضيَّعوا، والذكر لهم وإنْ نَسُوا، والتخفيف عنهم من مئونتك، والاحتمال لهم كلَّ مَؤُونةٍ، والرضى منهم بالعفو، وقلةِ الرضى من نفسك لهم إلَّا بالاجتهاد.

وإِنْ وجدتَ وعن صحبتهم غنًى، فأغْنِ عنهما نفسك، واعتزلْهما جَهْدَك.

فإنَّ من يأخذُ عملهم بحقه، يُحَلْ بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة، ومَنْ لا يأخذُ بحقه يحتمل الفضيحةَ في الدنيا والوِزْرَ في الآخرة.

بَابُ

إنك لا تأمن أتَفَة السلاطين إنْ علمتهم، ولا تأمن عقوبتهم إنْ كتمتهم، ولا تأمن سَلْوَتهم إنْ حدَّثتهم. وإنَّك إنْ لزمتهم لم تأمن تبرُّمهم بك، وإنْ زايلتهم لم تأمن تفقدهم إياك، وإنْ تستأمرهم حملتَ المَؤُونة عليهم، وإنْ قطعت الأمر دونهم لم تأمن فيه مخالفتَهم.

إنك لا تأْمَنُ إن صدقتهم غَضَبَهم، وإِنْ كَذَبتهم سُخطهم. وإنْ سخطوا عليك نسيتَ سُخْطَ الله تعالى، وإنْ رَضُوا عنك تكلَّفت لرضاهم ما لا تُطيق.

إن كنتَ حافظًا إنْ بَلَوْك . حَذِرًا إنْ قرَّبوك، أمينًا إن ائتمنوك، تُعَلِّمُهُم وأنت تريهم أنك تتعلَّم منهم، وتُؤدِّبُهم وكأنهم يؤدّبونك، تشكرهم ولا تكلِّفُهم الشكرَ، بصيرًا بأهوائهم، مُؤثرًا لمنافعهم، ذليلًا إنْ ظاموك ، راضيًا إنْ أسخطوك: وإلَّا فالبُعْد منهم كل البُعْدِ! والحذر منهم كل الحذر!

NewPP limit report Parsed by mw-api-ext.eqiad.main-58f67cf59c-z65s6 Cached time: 20260913180707 Cache expiry: 2592000 Reduced expiry: false Complications: [] CPU time usage: 0.347 seconds Real time usage: 0.629 seconds Preprocessor visited node count: 2442/1000000 Revision size: 479/2097152 bytes Post-expand include size: 57620/2097152 bytes Template argument size: 8085/2097152 bytes Highest expansion depth: 6/100 Expensive parser function count: 0/500 Unstrip recursion depth: 1/20 Unstrip post-expand size: 77778/5000000 bytes Lua time usage: 0.041/10.000 seconds

Lua memory usage: 2492419/52428800 bytes Number of Wikibase entities loaded: 0/500

Transclusion expansion time report (%,ms,calls,template)
1 85.452 14.41% 592.916 1 -total 100.00% قالب:ترويسة 9.84%
18 58.357 قالب:ع2 7.39% 43.792 1 صفحة:الأدب_الكبير.pdf/38
1 26.482 4.47% صفحة:الأدب_الكبير.32 16.341 2.76% pdf/45
ميدياويكي:1 15.895 2.68% Proofreadpage_pagenum_template
قالب:حواشي 2.40% 14.202 1 صفحة:الأدب_الكبير.2.31% pdf/39
1 13.703 صفحة:الأدب_الكبير.15 12.902 2.18% pdf/56 قالب:وسط

Render ID ee6c5a54-af9d-11f1-b50d-7938e6223352

Saved in parser cache with key arwikisource:pcache:241890:|#|:idhash:canonical and timestamp 20260913180707 and revision id 487095.
Rendering was triggered because: api-parse

في معاملة الأصدقاء

بَابُ

ابْذُلْ لصديقك دَمَك ومالَكَ، ولمعرفتك رِفْدك ومَحْضَرك، وللعامَّة بِشْرَك وتحنُّنَك، ولعدوِّك عَدْلك وإنصافك.

واضْنِن على كل أحد بدِينك وعِرْضِك ، إلا أَنْ تُضْطَرَّ إلى بذل العرض لوال أو

والد . فأما للولد فمن سواه، فلا.

بَابُ

إنْ سمعت من صاحبك كلامًا أو رأيتَ منه رأيًا يعجبك، فلا تنتحِلْه تَزَيُّنًا به عند الناس. واكتفِ من التزيُّن بأن تجتني الصَّواب إذا سمعته، وتنسُبَه إلى صاحبه.

واعلم أنَّ انتحالك ذلك مسخطةٌ لصاحبك، وأنَّ فيه مع ذلك عارًا وسُخْفًا.

فإن بلغ بك ذلك أنْ تُشير برأي الرجل وتتكلمَ بكلامه، وهو يسمع، جَمَعْتَ مع الظلم قِلَّةَ الحياء. وهذا من سُوء الأدب الفاشي في الناس.

ومن تمام حُسن الخُلُق والأدب في هذا الباب أنْ تَسْخُو نفسُك لأخيك بما انتحلَ من كلامك ورأيك، وتنسُبَ إليه رأيه وكلامه، وتُزيِّنَه مع ذلك ما استطعت.

∴

ولا يكونَنَّ من خُلُقِك أنْ تبتدئ حديثًا ثم تقطعه وتقول: سوف، كأنك رَوَّأتَ فيه بعد ابتدائك إياه، وليكن تروِّيك فيه قبل التفوُّه به. فإن احتجان الحديث بعد افتتاحه سُخْف وغمٌّ.

بَابُ

اخزُنْ عقلك وكلامك، إلَّا عند إصابة الموضع. فإنه ليس في كلِّ حين يحسُنُ كلُّ صواب. وإنما تمام إصابة الرأي والقول بإصابة موضعه. فإن أخطأك ذلك، أدخلتَ المِحنة على عقلك وقولك، حتى تأتي به في موضعه. وإنْ أتيت به في

غير موضعه، أتَيْتَ به وهو لا بَهاء ولا طُلاوة له.

∴

وليعرفِ العلماء حين تُجالسهم، أنَّك على أنْ تسمعَ أحرص منك على أنْ تقول.

∴

إن آثرتَ أنْ تُفاخر أحدًا ممن تستأنِس إليه في لَهْو الحديث، فاجعلْ غاية ذلك الجِدَّ، ولا تعتدْ أنْ تتكلم فيه بما كان هزلًا. فإذا بلغ الجِدَّ أو قارَبَهُ فدَعْهُ.

ولا تخلطنَّ بالجدِّ هزلًا، ولا بالهزل جِدًّا. فإنك إنْ خلَطتَ بالجد هزلًا هجَّنته، وإنْ خلطت بالهزل جدًّا كدرته.

غير أني قد علِمْتُ مَوْطنًا واحدًا إنْ قدرت أنْ تَستقبِلَ فيه الجِدَّ بالهزل، أصبتَ الرأي وظهرتَ على الأقران؛ وذلك أنْ يتورَّدَك متورِّدٌ بالسفه والغضب وسُوء اللفظ. فتجيبه إجابة الهازل المداعب، بُرحْبٍ من الذَّرْع وطلاقةٍ من الوجه وثباتٍ من المنطق.

∴

إنْ رأيت صاحبك مع عدوِّك، فلا يُغضبنَّك ذلك. فإنما هو أحد رجلين:

إنْ كان رجلًا من إخوان الثقة، فأنفعُ مَواطِنه لك أقربُها من عدوِّك؛ لشَرٍّ يكفه عنك، أو لعورة يسترها منك، أو غائبة يطَّلع عليها لك. فأمَّا صديقك، فما أغناك أنْ يحضره ذو ثقتك.

وإنْ كان رجلًا من غير خاصَّة إخوانك، فبأي حقٍّ تقطعه عن الناس وتُكَلِّفه أن لا يُصاحبَ ولا يُجالسَ إلَّا مَن تهوى؟

∴

تحفَّظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب، وطِبْ نفسًا عن كثير ممَّا يعرِض لك فيه صوابُ القول والرأي، مداراةً لأَنْ يظُنَّ أصحابك أنَّك إنما تُريد التطاول عليهم.

بَابُ

إذا أقبل إليك مُقبلٌ بِوُدِّهِ فَسَرَّك ألَّا يُدبر عنك، فلا تُنعِم الإقبال عليه والتفتُّح له. فإن الإنسان طُبع على ضرائب لُؤم: فمن شأنه أَنْ يَرحَلَ عمَّن لَصِق به. ويلصَقَ بمن رَحَل عنه، إلَّا من حفِظ بالأدب نفسَه وكابر طبعَه.

فتحفظ من هذا فيك وفي غيرك!

بَابُ

لا تُكثِرنَّ ادِّعاء العلم في كل ما يعرِض بينك وبين أصحابك.

فإنَّك من ذلك بين فضيحتَيْن:

إمَّا أنْ ينازعوك فيما ادَّعيتَ، فيُهْجَم منك على الجهالة والسخف والصَّلَف ؛

وإمَّا أنْ لا ينازعوك ويُخَلُّوا في يديْك ما ادَّعيتَ من الأمور، فينكشفَ منك التصنُّع والمَعْجَزَةُ.

∴

واستحِ الحياءَ كلَّه من أنْ تخبر صاحبك أنَّك عالم وأنه جاهل؛ مصرِّحًا أو مُعَرِّضًا.

وإنْ استطلت على الأكْفَاء ، فلا تثقنَّ منهم بالصفاء.

بَابُ

وإنْ آنَسْتَ من نفسك فضلًا، فتَطلعَ منك على أنْ تذكره أو تُبْديه، فاعلمْ أنَّ ظهوره منك بذلك الوجه يقرِّر لك في قلوب الناس من العيبِ أكثرَ مما يقرِّر لك من الفضل.

واعلمْ أنَّك إنْ صَبَرْتَ ولم تَعْجَلْ، ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف عند الناس.

ولا يَخفَيَنَّ عليك أن حرص الرجل على إظهار ما عنده وقِلَّةَ وقاره في ذلك بابٌ من أبواب البخل واللؤم.

وأنَّ من خير الأعوان على ذلك السخاءَ والتكرُّمَ.

بَابُ

وإنْ أردت أنْ تَلبَسَ ثوب الوقار والجمال، وتتحلَّى بحلية المودَّة عند العامة، وتسلك الجَدَدَ الذي لا خَبار فيه ولا عثَار، فكن عالمًا كجاهل وناطقًا كعييٍّ.

فأمَّا العلم فيزينك ويرشدك، وأمَّا قلة ادعائه فينفي عنك الحسدَ، وأمَّا المنطق (إذا احتجت إليه) فستبلغ منه حاجتك، وأمَّا الصمت فيُكْسبك المحبة والوقار.

∴

وإذا رأيت رجلًا يحدِّث حديثًا قد علمتَه أو يُخْبِر خبرًا قد سَمِعْتَه، فلا تشاركه فيه ولا تفتحْه عليه، حِرصًا على أنْ يَعلم الناس أنك قد علمته. فإنَّ في ذلك، مع سوء الأدب، خفةً وسُخفًا وحسدًا وتضييعَ حزمٍ وعجبًا.

بَابُ

لْيعرفك إخوانُك — والعامة إنْ استطعت — أنك إلى أنْ تفعل ما لا تقول أقربُ منك إلى أنْ تقول ما لا تفعل. فإنَّ فضلَ القول على الفعل عارٌ وهُجنةٌ، وفضل الفعل على القول زينةٌ.

وأنت حقيقٌ فيما وعدتَ من نفسك أو أخبرتَ به صاحبك من منزلة عندك أنْ تحتجن بعض ما في نفسك، إعدادًا لفضل الفعل على القول وتحرُّزًا بذلك عن تقصير فعل إن قصَّر. وقلَّما يكون إلَّا مقصِّرًا.

بَابُ

احفظ قول الحكيم الذي قال: لتكن غايتُك فيما بينك وبين عدوِّك العدل، وفيما بينك وبين صديقك الرضاء.

وذلك أنَّ العدوَّ خَصْمٌ تَصْرَعُه بالحجَّة وتغلِبه بالحكّام، وأنَّ الصديق ليس بينك وبينه قاض، فإنَّما هو رضاه حَكَمُه .

بَابُ

اجعل غاية تيّنك في مؤاخاة مَن تؤاخي ومواصلة من تواصل وطينَ نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك، وإنْ ظهر لك منه ما تكره. فإنه ليس كالمملوك تُعتِقه متى شئت، أو كالمرأة التي تُطلِّقها إذا شئْتَ، ولكنَّه عِرضُك ومروءتك. فإنَّما مُرُوّة الرجل إخوانه وأخدانه. فإنْ عَثَرَ الناس على أَنك قطعتَ رجلًا من إخوانك — وإنْ كنت مُعذرًا — نزل ذلك عند أكثرهم بمنزلة الخيانة للإخاء والمَلال فيه. وإنْ أنت مع ذلك تصَبَّرْتَ على مقاربته على غير الرضَى، عاد ذلك إلى العيب والنقيصة .

فالاتيادَ الاتياد! والتثبُّتَ التثبُّت!

بَابُ

وإذا نظرت في حال من ترتئيه لإخائك، فإنْ كان من إِخوان الدِين، فليكن فقيهًا غير مُراءٍ ولا حريصٍ؛ وإِنْ كان من إِخوان الدنيا، فليكن حرًّا ليس بجاهل ولا كذاب ولا شِرِّير ولا مشنوع .

فإِنَّ الجاهلَ أهلٌ أنْ يهرُبَ منه أبَوَاه؛ وإِنَّ الكذَّاب لا يكون أخًا صادقًا، لأن الكَذِب الذي يجري على لسانه إِنما هو من فضول كذِب قلبه (وإِنما سمي الصديق من الصدق، وقد يُتَّهم صِدق القلب وإِنْ صدق اللسان، فكيف إذا ظهر الكذب على اللسان؟)؛ وإن الشِرِّير يَكسِبُك الأعداء، ولا حاجة لك في صداقةٍ تجلب العداوة؛ وإِنَّ المشنوع شانِعٌ صاحبَهُ.

بَابُ

تحرَّزْ من سُكْر السلطان وسُكْر المال وسُكْر العلم وسُكْر المنزلة وسُكْر الشباب. فانه ليس من هذا شيءٌ إلا هو ريح جِنَّة تَسْلِب العقل وتَذهَب بالوقار وتَصْرِف القلبَ والسمعَ والبصرَ واللسان إلى غير المنافع.

بَابُ

اعلم أنَّ انقباضك عن الناس يُكسِبُك العداوة، وأنَّ تقرُّبك إليهم يكسبك صديق السوء. وسوءُ الأصدقاء أضرُّ من بُغْض الأعداء. فإنك إِنْ واصلتَ صديق السوء عْيَنْك جرائرُه، وإن قطعته شانَك اسم القطيعة وألزمك ذلك من يرفع عيبَك ولا ينشرُ عُذرَك. فإن المعايب تَنْمي والمعاذيرَ لا تنمي .

بَابُ

الْبَسْ للناس لباسين ليس للعاقل بُدٌّ منهما، ولا عيشَ ولا مروءة إلَّا بهما:

لباسَ انقباض واحتجاز من الناس، تلبسه للعامة فلا يلقَوْنَك إلَّا متحفِّظًا متشددًا متحرِّزًا مستعدًّا؛

ولباسَ انبساط واستئناس، تلبَسُهُ للخاصّة الثقات من أصدقائك. فتلقاهم بذات صدرك وتُفضي إليهم بمصون حديثك وتضع عنك مئونة الحَذَر والتحفُّظ فيما بينك وبينهم.

وأهل هذه الطبقة — الذين هم أهلها — قليلٌ من قليل حقًّا. لأن ذا الرأي لا

يُدخل أحدًا من نفسه هذا المَدْخَل إِلَّا بعد الاختبار والتكشُّف والثقة بصدق النصيحة ووفاء العهد .

∴

إِعلم أَنَّ لسانك أداةٌ مُصْلَتَةٌ ، يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك. فكلُّ غالب عليه مستمع به وصارفه في محبته. فإذا غلب عليه عقلك فهو لك، وإنْ غلب عليه شيءٌ من أشباه ما سمَّيْتُ لك فهو لعدوك.

فإِنِ استطعتَ أنْ تحتفظ به وتصونه فلا يكون إِلَّا لك، ولا يستولي عليه أو يشاركك فيه عدوُّك فافْعَلْ.

∴

إذا نابتْ أَخاك إِحدَى النوائب من زوال نعمة أو نزول بليَّة، فاعلم أَنك قد ابتُليت معه: إمَّا بالمؤاساة فتشاركه في البليَّة، وإمَّا بالخذلان فتحتمل العار .

فالتمس المَخرج عند أشباه ذلك، وآثِر مُرُوءَتك على ما سواها.

فإن نزلت الجائحة التي تأبى نفسُك مشاركة أخيك فيها فأجمل . فلعلَّ الإجمال يَسَعُك؛ لقلَّة الإِجمال في الناس.

بَـابُ

إذا أصاب أخوك فضلَ منزلة أو سلطان فلا تُرِيَنَّه أنَّ سلطانه قد زادك له وُدًّا، ولا يعرِفَنَّ منك عليه بماضي إخائك تدلُّلًا. وأَرِهِ أنَّ سلطانه زادك له توقيرًا وإجلالًا من غير أنْ يقدِر أنْ يزيده وُدًّا ولا نُصحًا، وأنك ترى حقًّا للسلطان

التوقيرَ والإجلال. فكُنْ في المداراة له والرفق به كالمؤتنف لما قبله! ولا تقدِّر الأمور فيما بينك وبينه على شيء مما كنت تعرِف من أخلاقه! فإنَّ الأخلاقَ مستحيلةٌ مع السلطان. وربما رأينا الرجل المُدِلَّ على السلطان بقِدَمِه قد أضرَّ به قِدَمُه.

بَابُ

لا تعتذرنَّ إلَّا إلى مَن يُحِبُّ أنْ يجد لك عذرًا، ولا تستعينَّ إلَّا بمن يُحب أنْ يُظفِرَك بحاجتك. ولا تُحدِّثنَّ إلَّا من يرى حديثك مَغْنَمًا، ما لم يغلِبْك اضطرارٌ.

بَابُ

إذا غَرَسْتَ من المعروف غَرسًا وأنفقت عليه نفقةً فلا تَضِنَّنَّ في تربية ما غرست واستنمائه، فتذهب النفقة الأولى ضَياعًا .

∴

إذا أعتذر إليك معتذر، فتلفه بوجه مُشْرِقٍ وبشر ولسان طلقٍ إلا أن يكون ممن قطيعته غنيمة.

بَابُ

اعلم أنَّ إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا. هم زينةٌ في الرخاء وعُدَّةٌ في الشدَّة ومعونةٌ على خير المعاش والمعاد. فلا تُفَرّطَنَّ في اكتسابهم وابتغاء الوُصُلات والأسباب إليهم.

اعلم أنك واجدٌ رغبتك من الإخاء عند أقوام قد حالتْ بينك وبينهم بعض الأُبَّهة التي قد تعتري بعض أهل المروآت فتحجز عنهم كثيرًا ممن يرغب في أمثالهم. فإذا رأيت أحدًا من أولئك قد عَثَر به الدهر وعَرفتَ نفسك أَنَّه ليس عليك في دُنوّك منه وابتغائك مودَّته وتواضعك له مَذَلَّةٌ، فاغتنم ذلك منه واعمل فيه.

∴

إذا كانت لك عند أحد صنيعةٌ أو كان لك عليه طَوْلٌ فالتمس إِحياءَ ذلك بإِماتته وتعظيمه بالتصغير له. ولا تقتصرنَّ في قلة المنِّ به على أنْ تقول: «لا أذكُرُهُ ولا أصغي بسمعي إلى مَن يذكره». فإن هذا قد يستحي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كَرَم. ولكن احذَرْ أنْ يكونَ في مجالستك إيَّاه وما تُكلِّمُهُ به أو تستعينُهُ عليه أو تُجاريه فيه شيءٌ من الاستطالة. فإِنّ الاستطالةَ تهدِم الصنيعة وتُكدِّر المعروف.

بَابُ

احترس من سَوْرة الغضب وسَوْرة الحمية وسَوْرة الحقد وسَوْرة الجهل وأعدِدْ لكلِّ شيء من ذلك عُدَّةً تجاهده بها من الحلم والتفكُّر والرويَّة، وذِكر العاقبة وطلب الفضيلة.

واعلم أنَّك لا تُصيبُ الغَلَبة إلَّا بالاجتهاد والفضل، وأنَّ قِلَّة الإعداد لمدافعة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام لها. فإنّه ليس أحَدٌ من الناس إلَّا وفيه من كل طبيعةٍ سوء غريزة. وإنما التفاضل بين الناس في مغالبة طبائع السوء.

فأمَّا أنْ يَسْلمَ أحدٌ من أنْ تكون فيه تلك الغرائز شيءٌ، فليس في ذلك مطمعٌ. إلَّا أنَّ الرجل القويَّ، إذا يَرُدُّها بالقمع لها كلما تطلَّعتْ، لم يلبث أنْ يُميتها حتى

كأنها ليست فيه. وهي في ذلك كامنة ككُمون النار في العُود والحجر. فإذا وَجَدت قادحًا من علة أو غفلةً، استورت كما تستوري النار عند القدح في الحطب ثم لا يبدأ ضرُّها إلَّا بصاحبها، كما لا تبدأ النار إلَّا بعُودها الذي كانت فيه.

بَابُ

ذَلِّلْ نفسك بالصبر على جار السوء، وعشير السوء، وجليس السوء. فإن ذلك مما لا يكاد يُخْطِئُك.

واعلم أنَّ الصبر صبران: صبرُ المرء على ما يكرَهُ، وصبره عما يُحِبُّ.

والصبر على المكروه أكبرهما ، وأشبههما أنْ يكون صاحبه مُضطَرًّا.

واعلم أنَّ اللئام أصبر أجسادًا، وأنَّ الكرام هم أصبر نفوسًا.

وليس الصبر الممدوح بأنْ يكون جِلْدُ الرجل وَقَاحًا على الضرب، أو رِجلُه قويَّة على المشي، أو يدُه قويةً على العمل. فإنما هذا من صفات الحَمير.

ولكنَّ الصبر الممدوح أنْ يكون للنفس غَلُوبًا، وللأمور محتملًا، وفي الضَّرَّاء متجمَّلًا ، ولنفسه عند الرأي والحِفَاظِ مرتبطًا، وللحزم مُؤْثِرًا، وللهوَى تاركًا، وللمشقّة التي يرجو حسن عاقبتها مستخفًّا، ولنفسه على مجاهدة الأهواء والشهوات مُوَطِّنًا ولبصيرته بعزمه مُنفِّذًا.

∴

حبِّبْ إلى نفسك العلْمَ حتى تلزمه وتألفه، ويكون هو لهْوَك ولذَّتك وسلوتك وتعلُّلَك وشهْوَتك.

واعلم أنَّ العلم علمان: علمٌ للمنافع، وعلمٌ لتذكية العقول.

وأفشى العِلْمين وأحراهما أنْ يَنْشطَ له صاحبُه من غير أنْ يُحَضَّ عليه علمُ المنافع. والعلْمُ الذي هو ذكاء العقول وصِقالها وجلاؤُها له فضيلة منزلةٍ عند أهل الفضيلة والألباب.

بَابُ

عوِّدْ نفسك السخاء.

واعلم أنه سخآن: سَخاوةُ نفْس الرجل بما في يديه، وسخاوته عما في أيْدي الناس.

وسَخاوة نفْس الرجل بما في يديه أكثرهما وأقربهما من أنْ تدخل فيه المفاخرة. وتركه ما في أيدي الناس أمحضُ في التكرُّم وأبرأُ من الدَّنَس وأنزه.

فإن هو جمعهما فَبَذَلَ وعفَّ، فقد استكمل الجود والكرم.

بَابُ

ليكن مما تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك أن لا تكون حسودًا.

واعلم أنّ الحسد خُلُقٌ لئيمٌ. ومن لؤمه أنه موكَّل بالأدنى فالأدنى من الأقارب والأكْفاء والمعارف والخُلَطاء والإخوان.

فليكن ما تعامل به الحسدَ أنْ تعلَمَ أنَّ خير ما تكونُ حين تكون مع من هو خير منك، وأنَّ غُنْمًا حسنًا لك أنْ يكون عشيرك وخليطك أفضلَ منك في العلم

فتقتبسَ من علمه، وأفضلَ منك في القوَّة فيدفع عنك بقوّته، وأفضلَ منك في المال فتُفيدَ من ماله، وأفضلَ منك في الجاه فتُصيبَ حاجتك بجاهه، وأفضلَ منك في الدِّين فتزدادَ صلاحًا بصلاحه.

بَابُ

ليكنْ مما تنظر فيه من أمر عدوِّك وحاسدك أن تعلم أنه لا ينفعُك أنْ تخبِر عدوَّك وحاسدَك أنَّك له عدوٌّ، فتُنْذِرُهُ بنفسك وتُؤذِنه بحربك قبل الإعداد والفرصة. فتحملُه على التسلُّح لك وتُوقِدُ ناره عليك.

∴

واعلمْ أنَّه أعظمُ لَخطرِك أنْ يرى عدوُّك أنّك لا تتخذه عدوًّا. فإنّ ذلك غِرَّةٌ له وسبيلٌ لك إلى القدرة عليه. فإنْ أنت قدرت واستطعت اغتفارَ العداوة عن أن تكافئ بها، فهنالك استكملت عظيمَ الخَطَر.

∴

إنْ كنتَ مُكافئًا بالعداوة والضرر، فإيَّاك أنْ تكافئ عداوة السرِّ بعداوة العلانَية، وعداوةً الخاصَّة بعداوة العامّة. فإنَّ ذلك هو الظلم والاعتداء.

واعلم مع ذلك أنَّه ليس كل العداوة والضرر يُكافأ بمثله. كالخيانة لا تُكافأ بالخيانة، والسرقة لا تكافأ بالسرقة.

ومن الحيلة في أمرك مع عدوِّك أنْ تصادق أصدقاءه وتؤاخي إخوانه، فتدخل بينه وبينهم في سبيل الشقاق والتلاحي والتجافي حتى ينتهي ذلك بهم إلى القطيعة والعداوة له. فإنَّه ليس رجلٌ ذو طَرْف يمتنع من مؤَاخاتك إذا التمست

ذلك منه. وإِنْ كان إِخوان عدوِّك غير ذوي طَرْف ، فلا عدوَّ لك.

بَابُ

لا تَدَعْ — مع السكوت عن شَتْمِ عدوّك — إحصاء مثالبه ومعايبه ومعايره واتِّباعَ عوراتِه، حتى لا يشذُّ عنك من ذلك صغير ولا كبير، من غير أنْ تشيع ذلك عليه، فيتسلَّحَ له، ويستعدَّ له. ولا تذكره في غير موضعه، فتكون كمستعرض الهواءَ بنَبْلِه قبل إِمكان الرمي.

∴

ولا تتخذنَّ اللعن والشتم على عدوِّك سلاحًا، فإنه لا يجرح في نفْسٍ ولا منزلةٍ ولا مال ولا دِينٍ.

بَابُ

إِنْ أردت أنْ تكون داهيًا، فلا تُحبَّنَّ أنْ تسمَّى داهيًا.

فإِنّه مَن عُرِفَ بالدهاء، صار مخاتلا علانيةً، وحذِرَهُ الناس حتى يمتنع منه الضعيف ويتعرَّض له القويُّ. فإنَّ من إرْب الأريب دفنُ إرْبه ما استطاع حتَّى يُعْرف بالمسامحة في الخليقة والاستقامة في الطريقة.

ومن إرْبه ألَّا يوارب العاقل المستقيم الطريقة والذي يطلع على غامض إرَبه ويوقفه عليه، فيَمْقُته لذلك.

وإِنْ أَردتَ السلامة فأَشْعِر قلبك الهيبة للأمور، من غير أنْ تَظهرَ منك الهيْبةُ،

فتُفطنهم بنفسك وتجرِّئَهم عليك وتدعو إليك منهم كلَّ الذي تهاب.

فاشْعَبْ لمداراة ذلك من كتمان الهيبة وإظهار الجُرأة والتهاون طائفة من رأيك. وإنْ ابْتُليتَ بمحاربة عدوك فحالفْ هذه الطريقة التي وصفتُ لك من إستشعار الهيبة وإظهار الجُرْأة والتهاون. وعليك بالحذر والجِدِّ في أمرك والجُرأة في قلبك، حتى تملأ قلبَك جَرأةُ ويستفرِغَ عملك الحِذْرَ.

بَابُ

اعلمْ أنَّ من عدوِّك من يعمل في هلاكك، ومنهم من يعمل في مُصالحتك، ومنهم من يعمل في البعد منك.

فاعرفهم على منازلهم.

ومن أَقوى القوَّة لك على عدوِّك، وأعزِّ أنصارك في الغَلَبَة له أنْ تُحصيَ على نفسكَ العيوبَ والعوراتِ كما تحصيها على عدوك، وتنظُرَ عند كل عيب تراه أو تسمعه لأحدٍ من الناس هل قارفتَ ذلك العيبَ أَو ما شاكله، أو سلِمْتَ منه.

فإنْ كنت قارفتَ شيئًا منه، جعلته مما تخصى على نفسك. حتى إذا أحصيت ذلك كله ، فكاثر عدوك بإصلاح نفسك وعثراتك، وتحصين عوراتك وإحراز مقاتلك.

وخذ نفسك بذلك مسيًا ومصبحًا.

فإذا آنسْتَ منها دفعًا له وتهاونًا به ، فأعدد نفسك عاجزًا ، ضائعًا ، خائبًا ، مُعْوِرًا لعدوّك، مُمْكِنًا له من رمْيك.

وإنْ حصل من عيوبك وعوراتك ما لا تقدِر على إِصلاحه من ذنبٍ مضى لك أو أمرٍ يعيبُك عند الناس ولا تراه أَنت عيبًا، فاحفظ ذلك واجعله نُصْبَ عينيك ولا تقل: وما عسى يقول فيَّ القائل؟ فاعلم أنَّ عدوَّك مُريدُك بذلك. فلا تغفل عن التَّهيُّوءِ له بحيلتك فيه سرًّا وعلانيةً، وعن الإعداد لقوَّتك وحُجتك من نسبك ومثالب آبائك أو عيب إخوانك وأخدانك.

فأمَّا الباطل فلا تَرُوعَنَّ به قلبَك ولا تستَعِدَّنَّ له ولا تشتغلنَّ بشيءٍ من أمره. فإنّه لا يَهُولك ما لم يقع، وما إنْ وقع اضمحل.

واعلم أنه قلَّما بُدِهَ أحد بشيء يعرفه من نفسه — وقد كان يطمع في إِخفائه عن الناس — فيُعَيِّرُه به مُعَيِّرٌ عند السلطان أو غيره، إِلا كاد يشهَد به عليه وجهُهُ وعينُهُ ولسانُهُ للذي يبدو منه عند ذلك، والذي يكون من انكساره وفتُوره عند تلك البديهة.

فاحذرْ هذه وتصنَّع لها، وخُذْ أُهبتك لبغَتَاتها ، وتقدَّم في أخذ العتاد لنفيها.

بَابُ

اعلمْ أنَّ مِن أوقع الأمور في الدِّين وأنهكها للجسد وأتلفها للمال وأقتلها للعقل وأزراها للمُرُوءة وأسرعها في ذهاب الجلالةِ والوقارِ: الغرامُ بالنساء.

ومن البلاء على المُغْرَم بهنَّ أنَّه لا ينفك يأجَمُ ما عنده وتطمحُ عيناه إلى ما ليس عنده منهنَّ.

وإنما النساء أشباهٌ.

وما يَتَزَيَّنُ في العيون والقلوب من فضْل مجهولاتهنَّ على معروفاتهنَّ باطلٌ

وخُدْعةٌ، بل كثير مما يَرْغَبُ عنه الراغب مما عنده أفضلُ مما تتوق إليه نفسه منهنَّ.

وإنما المرتغِبُ عمّا في رَحلْه منهنَّ إلى ما في رِحَال الناس كالمرتغِبِ عن طعام بيته إلى ما في بيوت الناس: بل النساء بالنساء أشبه من الطعام بالطعام؛ وما في رحال الناس من الأطعمة أشدُّ تفاضلًا وتفاوتًا مما في رحالهم من النساء .

ومن العَجَب أنَّ الرجل الذي لا بأْسَ بلُبِّهِ ورأْيه يرى المرأة من بعيد متلفِّفَةً في ثيابها، فيصوِّرُ لها في قلبه الحسنَ والجمالَ حتى تَعْلَقَ بها نفسُه من غير رُؤْية ولا خَبَرِ مُخبِرٍ. ثُمَّ لَعَلَّه يهجِم منها على أقبح القُبْح وأذَمِّ الدَّمامة ، فلا يعظه ذلك ولا يقطعه عن أمثالها. ولا يزال مشعوفًا بما لم يذُقْ، حتى لو لم يبقَ في الأرض غيرُ امرأةٍ واحدةٍ، لظنَّ أنَّ لها شأنًا غيرَ شأن ما ذاق.

وهذا هو الحُمقُ والشقاءُ والسفهُ.

ومن لم يَحْمِ نفسه ويُطَلِّقها ويُحَلِّئها عن الطعام والشراب والنساء في بعضِ ساعاتِ شهوته وقُدْرته، كان أيسرَ ما يصيبه من وبالِ ذلك انقطاعُ تلك اللذَّات عنه بخمود نار شهوته وضُعْف حوامل جسده. وقلَّ من تجدُه إلا مخادِعًا لنفسه في أمر جسده عند الطعام والشراب والحِمْية والدواء، وفي أمر مُرُوءته عند الأهواء والشهوات، وفي أمر دِينه عند الرِّيبة والشُّبْهة والطمع.

بَابُ

إنِ استطعتَ أن تضع نفسك دون غايتك في كلِّ مجلسٍ ومقامٍ ومقالٍ ورأيٍ وفعلٍ، فافعلْ. فإنَّ رفعَ الناس إيَّاك فوق المنزلة التي تحُطُّ إليها نفسَك

وتقريبَهم إيَّاك إلى المجلس الذي تباعدْتَ منه وتعظيمَهم من أمرك ما لم تعظِّم وتزيينَهم من كلامك ورأيك وفعلك ما لم تُزيِّنْ هو الجَمالُ .

بَابُ

لا يُعْجِبَنَّك العالِمُ ما لم يكن عالمًا بمواضع ما يَعلَم ، ولا العاملُ إذا جَهِل موضع ما يعمَلُ.

بَابُ

وإنْ غُلبْتَ على الكلام وقتًا، فلا تُغلَبَنَّ على السكوت! فإنَّه لعله يكون أشدَّهما لك زينةً وأجلبهما إليك للمودة وأبقاهما للمهابة وأنفاهما للحَسَد.

بَابُ

احذر المِرَاء وأغْرِبْهُ . ولا يمنعنَّك حَذَر المِرَاء من حُسْنِ المناظرة والمجادلة.

واعلمْ أنَّ الممارِي هو الذي يريد أن يتعلَّم من صاحبه، ولا يرجو أن يتعلم منه صاحبه. فإنْ زعم زاعمٌ أنَّه مُجادلٌ في الباطل عن الحقِّ، فإنّ المُجَادِلَ وإنْ كان ثابت الحُجَّة حاضرَ البيِّنة حاضر الذهن فإنَّه يخاصم إلى غير قاضٍ، وإنَّما قاضيه الذي لا يعدِلُ بالخُصومة إليه عدلُ صاحبه وعقلُه. فإنْ آنَسَ أو رجا عند صاحبه عَدْلًا يقضي به على نفسه، فقد أصاب وجه أمره. وإذا تكلم على غير ذلك كان ممارِيًا.

∴

وإنِ استطعت أن لا تُخْبِرَ أخاك عن ذات نفسك بشيء إلا وأنت محتجنٌ عنهَ بعض ذلك التماسًا لفضل الفعل على القول واستعدادًا لتقصير فعل إن قصَّر، فافعل.

واعلم أنَّ فضل الفعل على القول زِينةً، وفضلَ القول على الفعل هُجْنَةٌ وأن إحكام هذه الخَلَّة من غرائب الخلال.

∴

إذا تراكمت عليك الأعمال، فلا تلتمِسِ الرَّوْح في مدافعتها يومًا بيومٍ بالرَّوغان منها. فإنه لا راحةَ لك إلَّا في إصدارها. وإنَّ الصبر عليها هو الذي يخفِّفها عنك، والضَّجَرَ هو الذي يراكمها عليك.

فتعهَّدْ من ذلك في نفسك خَصلة قد رأيتُها تعتري بعض أصحاب الأعمال. وذلك أنَّ الرجل يكون في أمرٍ من أمره فَيرِدُ عليه شغلٌ آخرُ أو يأتيه شاغلٌ من الناس يكره إتيانه ، فيكدِّرُ ذلك بنفسه تكديرًا يُفسدُ ما كان فيه وما ورد عليه، حتى لا يُحْكِمَ واحدًا منهما. فإذا ورد عليك مِثْلُ ذلك، فليكن معك رأيك وعقلك اللذان بهما تختار الأمور، ثُمَّ اخترْ أَوْلَى الأمريْن بشغلك فاشتغل به حتى تفرُغ منه. ولا يعظُمَنَّ عليك فَوْتُ ما فات وتأخيرُ ما تأخَّرَ.

بَابُ

إذا أعملتَ الرأي مُعْمَلَهُ وجعلتَ شغلك في حقّه، واجْعَلْ لنفسك في كلّ شغلٍ غايةً ترجو القوة والتمام عليها.

بَابُ

اعلمْ أنك إنْ جاوزتَ الغاية في العبادة، صِرْتَ إلى التقصير؛ وإنْ جاوزتَها في حَمْل العلم، لحقت بالجهَّال؛ وإن جاوزتَها في تكلُّف رضَى الناس والخفَّة معهم في حاجاتهم، كنت المُحسَّر المُضيَّع .

بَابُ

واعلم أنَّ بعض العطيَّة لُؤْمٌ ، وبعض السلاطة غمٌّ، وبعض البيان عِيٌّ، وبعض العلم جهلٌ. فإنِ استطعتَ أن لا يكون عطاؤك جورًا ولا بيانك هَذَرًا ولا علمك وبالًا، فافعل.

بَابُ

اعلم أَنَّه ستمُرُّ عليك أحاديث تُعجِبك: إِمَّا مليحةٌ وإِمَّا رائعة.

فإذا أعجَبتْك، كنتَ خليقًا أنْ تحفظها. فإِنَّ الحفظ موكَّلٌ بما مَلُحَ ورَاعَ. وستحرِصُ على أنْ تُعْجَبَ منها الأقوامُ. فإِن الحِرْص على التعجُّب من شأن الناس. وليس كل مُعْجِب لك مُعجِبًا لغيرك.

فإذا نَشَرْتَ ذلك المرَّة والمرَّتين، فلم تَرَهُ وَقَعَ من السامعين موقعَه منك، فانزجرْ عن العودة. فإنَّ العَجُّبَ من غيْر عَجَبٍ سُخْفٌ شديدٌ.

وقد رأيْنا من الناس مَن تعلَّق بالشيء ولا يُقْلعُ عنه وعن الحديث به، ولا يمنعه قِلَّة قبول أصحابه له من أنْ يعود إليه ثم يعود.

ثمَّ انظُرِ الأخبار الرَّائعة فتحفَّظ منها. فإنّ الإنسان من شأْنه الحِرصُ على الإخبار، ولا سيّما ما يَرتاع الناس له. فأكْثَرُ الناسِ مَن يُحدِّث بما سمع، ولا يبالي ممن سمِعَ. وذلك مَفْسَدة للصدق ومَزْرَأَة بالمُرُوءة.

فإن استطعتَ أنْ لا تُخبِرَ بشيءٍ إلَّا وأنت به مصدِّقٌ (لا يكون تصديقك إلَّا ببرهانٍ)، فافعل. ولا تقل كما يقول السفهاء: «أُخْبِرُ بما سمِعْتُ.»

فإن الكَذِبَ أكثرُ ما أنت سامِعٌ، وإنَّ السُّفَهاء أكثرُ مَن هو قائلٌ. وإنَّك إنْ صِرتَ للأحاديث واعيًا وحاملًا، كان ما تَعِي وتحملُ عن العامَّة أكثرَ مما يَخترعُ المخترعُ بأضعافٍ.

∴

انظر مَن صاحبْتَ من الناس، من ذي فضْلٍ عليك بسلطانٍ أو منزلةٍ، أو مَن دُون ذلك من الأَكْفاءِ والخُلَطاءِ والإخوان، فوَطِّنْ نَفْسَك في صُحبته على أنْ تقبَلَ منه العفوَ وتسخُو نفسُك عما اعتاصَ عليك ممَّا قِبَلَه، غيْرَ معاتبٍ ولا مُستبطئٍ ولا مُستزيدٍ. فإنَّ المعاتبة مَقطَعةٌ للوُدِّ، وإنَّ الاستزادة من الجشع، وإنَّ الرضا بالعفو والمسامحة في الخُلُق مُقَرِّبٌ لك كلَّ ما تَتُوق إليه نفسُك، مع بقاء العِرض والمودَّة والمُرُوءة

∴

واعلَمْ أنَّك ستُبْلَى من أقوامٍ بسَفَهٍ، وأنَّ سَفهَ السفيه سَيُطْلِعُ له منك حقدًا. فإن عارضته أو كافأْتَه بالسَّفَه فكأنَّك قد رَضِيتَ ما أتى به، فأحببتَ أنْ تحتذيَ على مثاله. فإنْ كان ذلك عندك مذمومًا، فحقِق ذمَّك إيَّاه بترك معارضته. فأمَّا أنْ تذمَّه وتمتثلَه، فليس ذلك لك سَدادٌ.

لا تصاحبنَّ أحدًا (وإنْ استأنستَ به أخًا ذا قرابة أو أخًا ذا مودَّة) ولا والدًا ولا ولدًا إلَّا بمروءة. فإن كثيرًا من أهل المُرُوءة قد تحملهم الاسترسال والبذُّل على أنْ يصحبوا كثيرًا من الخُلَطاء بالإدلال والتهاون والتبذُّل.

ومن فَقَدَ من صاحبه صُحبة المروءة ووقارَها وجلالَها، أحدثَ ذلك له في قلبه رِقَّة شأن وسُخف منزلة.

بَابُ

ولا تلتمس غَلَبَةَ صاحبك والظَّفَرَ عليه عند كلِّ كلمةٍ ورأيٍ، ولا تجترئَنَّ على تقريعه بظَفَرك إذا استبان، وحُجَّتك عليه إذا وَضَحَت.

فإنّ أقوامًا قد يحملهم حُبُّ الغَلَبَة وسَفَهُ الرأْي في ذلك على أنْ يتعقَّبوا الكلمة بعد ما تُنْسى فيلتمسوا فيها الحُجَّة، ثم يستطيلون بها على الأصحاب. وذلك ضَعْفٌ في العقل ولُؤْمٌ في الأخلاق.

بَابُ

لا يُعجبنَّك إكرام مَن يكرمك لمنزلةٍ أو لسلطانٍ فإنَّ السلطان أوشكُ أمور الدنيا زوالًا. ولا يُعجبنَّك إكرامُ مَن يكرمك للمال، فإنّه هو الذي يتلو السلطان في سرعة الزوال. ولا يُعجبنَّك إكرامهم إيَّاك للنسب، فإن الأنساب أقلُّ مناقب الخير غَناءً عن أهلها في الدِّين والدنيا .

ولكنْ إذا أُكْرِمْتَ على دِينٍ أو مُرُوءَةٍ فذلك فليعجبك! فإنَّ المُرُوءة لا تزايلك في الدنيا، وإنَّ الدين لا يزايلك في الآخرة.

بَابُ

اعلم أنَّ الجبنَ مقتلةٌ وأنَّ الحرص مَحْرَمَةٌ . فانظر فيما رأيتَ أو سمعت: أمَنْ قُتِل في القتال مُقبِلًا أكثرُ، أم من قُتِل مُدبِرًا؛ وانظر أمَنْ يطلب إليك بالإجمال والتكرُّم أحقُّ أنْ تسخُوَ نفسك له بطَلبته أمَّن يطلب إليك بالشَّرَة والزيغ ؟

بَابُ

واعلم أنَّه ليس كلُّ مَن كان لك فيه هوًى، فذَكرَهُ ذاكرٌ بسوءٍ وذكرتَه أنت بخير ينفعه ذلك، بل عسى أنْ يضرَّه.

فلا يستخفنَّك ذِكرُ أحدٍ من صديقك أو عدوك، إلَّا في مواطن دفعٍ أو محاماة. فإنَّ صديقك — إذا وثق بك في مواطن المحاماة — لم يحفِل بما تركتَ مما سوى ذلك، ولم يكن له عليك سبيلُ لائمةٍ.

وإنَّ من أحزم الرأي لك في أمر عدوِّك أنْ لا تذكره إلَّا حيث تضرُّه، وأن لَّا تَعدَّ يسيرَ الضرر له ضررًا.

بَابُ

اعلم أنَّ الرجل قد يكون حليمًا، فيحمله الحِرصُ على أنْ يقول الناس جليدٌ، والمخافةُ أنْ يقال مَهينٌ على أنْ يتكلَّف الجهل. وقد يكون الرجل زميتًا فيحمله الحرص على أنْ يقال لَسِنٌ ، والمخافةُ من أنْ يقال عَيِيٌّ على أنْ يقول في غير موضعه فيكون هَذِرًا .

فاعرف هذا وأشباهَه، واحترسْ منه كلَّه.

بَابُ

إذا عَرَض لك وبَدَهَك أمران لا تدري أيُّهما أصوبَ، فانظُرْ أيَّهما أقربُ إلى هواك، فخالِفْهُ. فإنَّ أكثرَ الصواب في خلاف الهوى.

∴

وليجتمعْ في قلبك الافتقارُ إلى الناس والاستغناءُ عنهم! ولْيكنِ افتقارُك إليهم في لِينِ كلمتك لهم وحُسْنِ بِشرِك بهم! ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عِرْضِك وبقاء عِزِّك.

بَابُ

لا تُجالسنَّ امرءًا بغير طريقته! فإنَّك إنْ أردتَ لِقاءَ الجاهل بالعلم، والجافي بالفقه، والعييِّ بالبيان، لم تَزِدْ على أنْ تُضيِّعَ عِلمك وتُؤْذي جليسك، بحَمْلك عليه ثِقْلَ ما لا يَعْرِفُ وغمِّك إياه بمثل ما يغتمُّ به الرجُل الفصيحُ من مخاطبة الأعجم الذي لا يفقه عنه.

واعلمْ أنَّه ليس من عِلمٍ تذكرُهُ عند غير أهله إلَّا عابوه ونصبوا له ونقضوه عليك وأبغضوك عليه، وحَرَصوا على أنْ يجعلوه جهلًا، حتى إنَّ كثيرًا من اللهو واللّعِبِ الذي هو أخَفُّ الأشياء على الناس لَيَحْضُره من لا يعرفُهُ، فيثْقُلُ عليه ويغتَمُّ به.

بَابُ

ليعْلمْ صاحبُك أَنك تُشْفِق عليه وعلى أصحابه ! وإيَّاك إِنْ عاشرك امروءٌ أو رافقك، أنْ يَرَى منك الوُلوعَ بأحَدٍ من أصحابه وإخوانه وأخدانه. فإنَّ ذلك يأخُذُ من أعِنَّة القلوب مأخذًا. وإنَّ لُطْفَك بصاحبِ صاحبِك أحْسَنُ عنده موقِعًا من لطْفكَ به في نفسه.

بَابُ

واتَّقِ الفَرَحَ عند المحزون، واعْلَمْ أَنه يَحْقِدُ على المُنطلِق ويشكر للمُكتئِب.

∴

اعلم أنَّك ستسمع من جُلسائك الرأيَ، والحديثَ تُنكرُهُ وتستخفيه وتستشنعه من المتحدِّث به عن نفسه أو غيره، فلا يكونَنَّ منك التكذيب ولا التسخيف لشيءٍ مما يأْتي به جليسك. ولا يُجرِّئنَّك على ذلك أنْ تقول: إنما حدثَ عن غيره. فإنَّ كلَّ مردودٍ عليه سيمتعِضُ من الردِّ. وإنْ كان في القوم من تكرَهُ أنْ يستقرَّ في قلبه ذلك القول، لخطأٍ تخاف أنْ يعقد عليه أو مضرَّة تخشاها على أحدٍ، فإنَّك قادرٌ على أنْ تنقُضَ، ذلك في سَتر، فيكون ذلك أيْسرُ للنقض وأبعد للبِعضة.

بَابُ

اعْلَمْ أنَّ البِغْضَةَ خَوْفٌ، والمَوَدَّةَ أمْنٌ، فاستكثر من المَوَدَّة صامتًا. فإنَّ الصمت سيدعوها إليك. وإذا ناطقتَ، فناطِقْ بالحُسنى. فإنَّ المنطِقَ الحَسَنَ يَزيدُ في

وُدِّ الصديق ويَسْتَلُّ سخيمة الوَغْر .

بَابُ

اعْلَمْ أنَّ خَفْضَ الصوت وسكونَ الريح ومشيَ القَصْد من دواعي المودَّة، إذا لم يخالط ذلك بأْوٌ ولا عُجْبٌ. العُجْب من دواعي المقْتِ والشَّنَآن .

بَابُ

تعلم حُسْنَ الاستماع كما تتعلَّمُ حسن الكلام. ومن حسن الاستماع إمهالُ المتكلمِ حتى ينقضِي حديثُه، وقلَّةُ التلفتِ إلى الجواب، والإقبالُ بالوجهِ والنظرِ إلى المتكلمِ، والوعْىُ لما يقول.

∴

اعلم أنَّ المستشار ليس بكفيل، وأنَّ الرأي ليس بمضمونٍ. بل الرأيُ كلُّه غَرَرٌ . لأن أمور الدنيا ليس شيءٌ منها بثقةٍ، ولأنه ليس من أمرها شيءٌ يدركه الحازم إلَّا وقد يُدركه العاجز. بل ربما أعيى الحَزَمَةَ ما أمكَنَ العَجَزَةَ. فإذا أشار عليك صاحبُك برأيٍ، ثم لم تجد عاقبتَه على ما كنتَ تأمُلُ، فلا تجعلْ ذلك عليه دَيْنًا ولا تُلزِمْهُ لَوْمًا وعَذْلًا، بأنْ تقول: أنْتَ فَعلتَ هذا بي، وأنْتَ أمرتني، ولولا أنت لم أفعَلْ، ولا جَرَمَ لا أطيعُك في شيءٍ بعدها. فإن هذا كله ضَجَرٌ ولؤمٌ وخِفَّةٌ.

فإن كنتَ أنت المشيرُ، فعَمَل برأْيِك أو تركه، فبدا صوابُك فلا تَمْنُنْ به ولا تُكْثِرَنَّ ذِكْرَهُ إنْ كان فيه نجاح، ولا تَلُمْهُ عليه إنْ كان قد استبان في تركه ضرر،

بأن تقول: أَلَمْ أقُل لك: افعل هذا. فإنَّ هذا مُجانبٌ لأدب الحكماء.

بَابُ

اعلم — فيما تُكلِّمُ به صاحبَك — أنَّ مما يُهجِّنُ صواب ما يأتي به، ويَذْهبُ بطعمه وبهجته، ويُزْرِي به في قبوله، عَجَلَتُك بذلك وقطْعُك حديثَ الرجُل قبل أنْ يُفْضِي إليك بذات نفسهِ.

بَابُ

ومن الأخلاق السيِّئة على كل حال مُغَالبةُ الرجل على كلامه والاعتراضُ فيه، والقطعُ للحديث.

بَابُ

ومن الأخلاق التي أنت جديرٌ بتركها — إذا حدَّث الرجلُ حديثًا تعرِفُهُ — أنْ لا تسابقَه إليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه، حتى كأنَّك تُظهر للناس أنك تُريد أنْ يعلموا أنَّك تعلمُ مِثْلَ الذي يعلمُ. وما عليك أنْ تُهْنئه بذلك وتفْرِدَهُ به.

وهذا الباب من أبواب البخل. وأبوابُهُ الغامضة كثيرةٌ.

بَابُ

إذا كنتَ في قوم ليسوا بُلَغاء ولا فُصحاءَ، فَدَعِ التطاوُل عليهم بالبلاغة والفصاحة.

بَابُ

واعلمْ أنَّ بعضَ شدَّةِ الحَذَرِ عَوْنُ عليك لِمَا تَحْذَرُ، وأَنَّ بعضَ شدَّة الاتِّقاء مِمَّا يدعو إليك ما تَتقي.

بَابُ

إن رأيتَ نفسك تصاغَرَت إليها الدنيا، أو دعتْكَ إلى الزهادة فيها على حال تعذُّر من الدنيا عليك، فلا يغرَّنَّكَ ذلك من نفسك على تلك الحال. فإنها ليست بزهادة ولكنَّها ضجرٌ واستخذاء وتعيير نفس عليك عند ما أعجزك من الدنيا وغضبٌ منك عليها لِمَا الْتَوى عليك منها. ولو تَمَّمْتَ على رفضها وأمْسكتَ عن طلبها، أوْشَكْتَ أنْ تَرى من نفسك من الصَّجَر والجزَعِ أشَدَّ من ضَجَرِك الأوَّل بأضعافٍ. ولكنْ إذا دَعَتْك نفسُك إلى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك، فأسْرِعْ إجابتها.

بَابُ

اعرف عوراتك. إيَّاك أن تُعَرِّض بأحدٍ فيما ضارعها ! وإذا ذُكِرَتْ من أحدٍ خليقةٌ فلا تُناضل عنه مُناضلَةَ المُدافع عن نفسه، المُصغِّرِ لِمَا يعيبُ الناسُ منه، فَتُتَّهَمَ بمثلها؛ ولا تُلحَّ كُلَّ الإلحاح. وليكُنْ ما كان منك في غير احتلاط ، فإنَّ الاحتلاط من محقِّقَات الرِّيَبِ.

بَابُ

إذا كنتَ في جماعةِ قومٍ أبدًا، فلا تَعُمَّنَّ جيلًا من الناس أو أمَّة من الأمم بشَتْم ولا ذَمٍّ. فإنَّك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جُلسائك مُخطِئًا، فلا تأمَن مُكافأتَهُم ؛ أو مُتعمِّدًا، فتُنْسَبُ إلى السَّفَهِ. ولا تَذُمَّنَّ مع ذلك اسمًا من أسماء الرجال أو النساء بِأنْ تقول: إنَّ هذا لقبيحٌ من الأسماء! فإنَّك لا تدري لعلَّ ذلك غير موافق لبعض جُلسائك، ولعله يكون بعض أسماء الأهلين والحُرَم . ولا تستصغرَنَّ من هذا شيئًا. فكلُّ ذلك يجرَحُ في القلب. وجُرْحُ اللّسان أشَدُّ من جرح اليدِ.

∴

واعلم أنَّ الناس يَخْدعون أنفُسَهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثَالبهم ومَساويهم، وتنقصهم . وكلُّ ذلك أبْيَنُ عند سامعيه من وَضَحَ الصُّبْحِ. فلا تكونَنَّ من ذلك في غرور، ولا تجعلنَّ نفسك من أهله.

بَابُ

اعلم أنَّ مِن تنكُّب الأمور ما يُسمَّى حَذَرًا، ومنه ما يُسمَّى خَوَرًا. فإن استطعت أنْ يكون لحينِك من الأمر قبل مواقعتك إياه، فافعلْ. فإنّ هذا الحَذَرُ. ولا تنغَمِس فيه ثم تتهَيَّبُهُ، فإنّ هذا هو الخَوَرُ. فإنَّ الحكيم لا يخوض نهرًا حتى يعلم مقدار قَعْرِه.

بَابُ

قد رأينا من سُوء المجالسة أنَّ الرجل تثقُلُ عليه النعمة يراها بصاحبه. فيكون ما يشتفي بصاحبه — في تصغير أمره وتكدير النعمة عليه — أنْ يذكر الزوال والفناء والدوَل، كأنَّهُ واعظٌ وقاصٌّ. فلا يخفى ذلك على من يُعنَى به، ولا غيره. ولا يُنَزَّل قولُهُ بمنزلة الموعظة والإبلاغ، ولكن بمنزلة الضَّجَر من النعمة — إذا رآها لغيره — والاغتمامِ بها والاستراحةِ إلى غير رَوْحٍ.

∴

وإني مخْبرك عن صاحبٍ لي، كان من أعظم الناس في عيني. وكان رأسُ ما أعظمَهُ في عيني صِغَرَ الدنيا في عينه. كان خارجًا من سلطان بطنه، فلا يتشهَّى ما لا يجد ولا يُكثر إذا وَجَدَ؛ وكان خارجًا من سلطان فَرْجِهِ، فلا يدعو إليه ريبة ولا يستخفُّ له رأيًا ولا بدنًا؛ وكان خارجًا من سلطان لسانه، فلا يقول ما لا يَعْلَمُ ولا ينازع فيما يعلم؛ وكان خارجًا من سلطان الجهالة فلا يُقْدِمُ أبدًا إلا على ثقةٍ بمنفعةٍ. كان أكثَرَ دهره صامتًا، فإذا نطق بَذَّ الناطقين. كان

يُرَى متضاعفًا مستضْعَفًا، فإذا جاء الجِدُّ فهو الليث عاديًا. كان لا يدخُل في دَعْوى، ولا يشترك في مِراءٍ، ولا يُدْلي بحُجَّة، حتى يَرى قاضيًا عَدْلًا وشُهودًا عُدُولًا. وكان لا يلوم أحدًا على ما قد يكون العذر في مثله، حتى يعلم ما اعتذاره. وكان لا يشكو وجعًا إلَّا إلى مَن يرجو عنده البُرْءَ. وكان لا يستشير صاحبًا إلى من يرجو عنده النصيحة. وكان لا يتبرَّم، ولا يتسخَّط ولا يتشهَّى، ولا يتشكَّى. وكان لا ينقمُ على الوليِّ، ولا يَغْفُلُ عن العدُوِّ، ولا يخصُّ نفسَه دون إخوانه بشيء

من اهتمامه وحيلته وقوته.

فعليك بهذه الأخلاق إنْ أطقتَ، ولن تطيق. ولكنَّ أخذَ القليل خيرٌ من ترك الجميع .

∴

واعلم أنَّ خيْر طبقاتِ أهل الدنيا طبقةٌ أصِفُها لك: مَنْ لَمْ ترتفِعْ عن الوضيعِ ولم تتَّضِع عن الرفيع.

تصويبات

NewPP limit report Parsed by mw-web.eqiad.main-f9854c69d-qlcvg Cached time: 20260917221326 Cache expiry: 2592000 Reduced expiry: false Complications: [vary-revision-sha1] CPU time usage: 0.622 seconds Real time usage: 0.972 seconds Preprocessor visited node count: 5634/1000000 Revision size: 457/2097152 bytes Post-expand include size: 135498/2097152 bytes Template argument size: 18584/2097152 bytes Highest expansion depth: 8/100 Expensive parser function count: 0/500 Unstrip recursion depth: 1/20 Unstrip post-expand size: 232943/5000000 bytes Lua time usage: 0.080/10.000 seconds Lua memory usage: 2868598/52428800 bytes Number of Wikibase entities loaded: 0/500

Transclusion expansion time report (%,ms,calls,template) 100.00% 914.020 1 -total 9.71% 88.776 57 قالب:ع2 9.05%

82.720 1 قالب:حواشي 8.22% 75.141 1 قالب:ترويسة 5.28%
48.224 21 قالب:أبيات 3.47% 31.683 1 صفحة:الأدب_الكبير.pdf/70
1 27.268 2.98% صفحة:الأدب_الكبير.70 27.242 2.98% pdf/99
ميدياويكي:1 Proofreadpage_pagenum_template 1.66% 15.204
صفحة:الأدب_الكبير.25 15.074 1.65% pdf/121 قالب:وسط

Render ID 010bd4c1-b2e5-11f1-a889-cf7f4d8138d2

Saved in parser cache with key arwikisource:pcache:241892:|#|:idhash:canonical and timestamp 20260917221326 and revision id 601961.
Rendering was triggered because: page_view

مصادر هذه الطبعة والنسبة

الأدب الكبير — عبد الله بن المقفع.

نطاق الطبعة: جميع أقسام النص المتاحة في صفحات المصدر المحددة أدناه. اختلاف الطبعات أو الضبط وارد؛ هذه إعادة تنسيق لا تحقيق جديد.

النص التراثي الأصلي في الملك العام. مصدر التفريغ الرقمي: ويكي مصدر ومساهموه. تتيح مِداد الإسهامات الرقمية الخاضعة للترخيص وفق CC BY-SA 4.0، مع وجوب النسبة وبيان التغييرات والترخيص بالمثل.

التغييرات: إعداد غلاف وفهرس وبيانات إصدار، وإزالة أدوات واجهة المصدر والحواشي الحديثة خارج المتن، وتقسيم الفقرات الطويلة دون تلخيص المتن.

الترخيص CC BY-SA 4.0 · صفحة الطبعة وروابط النسبة

الصفحات المستخدمة وسجل المساهمين

الأدب الكبير/مقدمة — مراجعة 486972 · سجل المساهمين

الأدب الكبير/القسم الأول/آداب السلطان — مراجعة 487094 · سجل المساهمين

الأدب الكبير/القسم الأول/صحبة السلطان — مراجعة 487095 · سجل المساهمين

الأدب الكبير/القسم الثاني/في معاملة الأصدقاء — مراجعة 601961 · سجل المساهمين